جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: م أ ع/ 2014/115

الموضوع

البعد الإصلاحي وأثره الجمالي في أدب الرافعي

كتاب وحي القلم - أنموذجا-

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب عربي حديث

إعداد الطالب:
- عمار الغربي

إشراف الدكتور:
- باسم بسطال

تاريخ المناقشة:2016/05/25

أمام لجنة المناقشة:

1- عز الدين عماري .....رئيسا

2- باسم بسطال .....مشرفاومقررا

3- علي بعداش .....ممتحنا

السنة الجامعية: 1437/1436هـ- 2016/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

عملا بقوله تعالى:« لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ »

الحمد لله رب العالمين، له الحمد أولا وأخرا وظاهرا وباطنا،أحمده سبحانه على كل النعم والفضائل ، وله الحمد سبحانه أن أمدني بالعون والقوة والصبر لإنجاز هذا العمل المتواضع، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد بن عبد الله النبي الهاشمي وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم« من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل وبالعرفان الوفير للأستاذ المشرف الدكتور باسم بسطال على ما قدمه لي من توجيهات سديدة ونصائح قيمة مفيدة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل الذين ساهموا من قريب أو بعيد في إخراج هذه الدراسة إلى النور.

إهداء

إلى الذي كان حريصا على مستقبلي

إلى الذي نصحني وتعب من أجلي:أبي

إلى فيض الحنان وينبوع الرحمة والعطاء

إلى من تعبت لأرتاح: أمي

أمي وأبي، كنتما نعم الوالدين

أهدي لكما ثمرة نجاحي

إلى من وقفوا معي وساندوني في مسيرتي الدراسية إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى مصدر الفرح والسرور: محمد الفاتح، إنصاف حورية، زياد، محمد أنس

إلى جميع أهلي وأقاربي

وإليكم جميعا يا من كانت لكم ذكريات جميلة في حياتي أصدقاء كنتم أم

أساتذة أم مربين.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله و صحبه و من اتبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

يحظى الأدب بأهمية بالغة في كل زمان، فهو وسيلة للتعبير عن قضايا المجتمع بأسلوب جميل ولغة رصينة، ولقد عرج الأدب في سلم الإصلاح على مر العصور، وكان له دور في تغيير الأوضاع بنشر الأفكار البناءة و شحذ الهمم وإيقاظ الشعوب المقهورة، وقد شهد الرافعي في عصره فترة مليئة بالأحداث المتنوعة والتغيرات الطارئة على المجتمع، تنوعت آثارها السلبية وتباينت أخطارها على عدة أصعدة، فقد جاء بعض هذه الأحداث نتيجة اتصال مصر بأوربا، وجاء البعض الآخر نتيجة الاحتلال الانجليزي لمصر، كما شهدت الكثير من البلدان العربية في ذلك العصر احتلالا مماثلا أو أشد وطأة، أخذ فيه المحتل الغاشم ينفث سمومه وينشر أفكاره الهدامة في المجتمع العربي والإسلامي، بحيث تباعد هذه الأفكار بينهم وبين قيمهم الدينية والأخلاقية العالية، كما سعى إلى إضعاف اللغة العربية، وتشويه التاريخ الإسلامي مستعملا في ذلك مختلف وسائل الهدم ، لذا كان لزاما على علماء الأمة الإسلامية وأدبائها من وقفة جادة في وجه الاحتلال ومن يلونه ، فبرزت العديد من الدعوات الإصلاحية سواء من رجال الدين أو المفكرين أو الأدباء، وإن اختلفت طريقة كل واحد منهم وبرامجه إلا أن الحل مشترك وهو في الإسلام، فإذا عم الإسلام بأخلاقه وقيمه الفاضلة ومثله الرفيعة عم السلام أرجاء العالم وصلح ما كان فاسدا، فقد يحدث أن يتغير الناس أو تتبدل الأيام أو تتحول المفاهيم ، ولكن ميزان الإسلام ثابت لا يتحول وراسخ لا يتزعزع ولا يتضعضع، ويعد مصطفى صادق الرافعي من أهم الأدباء البارزين الذين حملوا حسا إصلاحيا في أدبهم، وتبقى الكثير من كتاباته النثرية شاهدة على ما خط يراعه في سبيل نصرة الدين و الذود عن حمى اللغة

العربية وإعلاء كلمة الحق جهيرة رنانة، كما عكست هذه الكتابات ثقافة واسعة وتبصر بأمور الدين، ما جعل الرافعي يتربع على عرش البيان العربي، وقد وجدت في كتاب وحي القلم حديقة غناء وافرة الظلال بديعة الأشكال بهية الألوان، بتنوع مواضيعه وتعدد مسائله ذات البعد الإصلاحي النابع من التوجه الإسلامي للرافعي، فيحس القارئ عند قراءة هذه المواضيع بالشغف لقراءة المزيد، لأن الأدب الحقيقي هو ما سمت به الروح وارتفعت به الهمم وصفت به الأفكار، فلا يوزن الأدب بميزان الكثرة ولا يقاس بعدد الصفحات ولا يحسب برتبة الأرقام، وإنما يوزن بمقدار الجودة ويقاس بالفائدة الأخلاقية التي يجنيها القارئ ويحسب بعدد القيم الإسلامية التي يحويها بين طياته، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أذكّر بالجهد الذي بذله محمد سعيد العريان صديق الرافعي ،فقد جمع جذاذات الجزء الثالث من كتاب وحي القلم، ناهيك عن مؤلفه كتاب حياة الرافعي، الذي صور الحياة الأدبية للرافعي، و قد تجلى البعد الإصلاحي في أدب الرافعي من خلال كتاباته ذات التوجه الإسلامي، وجاءت في كتاب وحي القلم متعددة ومتنوعة نظرا لتعدد المواضيع وتنوعها، ولمقاربة هذا الموضوع وجب الإجابة على الأسئلة الآتية: فيم يتجلى البعد الإصلاحي عند الرافعي ؟

ما أهم المواضيع الإصلاحية التي تطرق إليها الرافعي في كتابه وحي القلم؟ فيما تكمن جمالية الخطابات الإصلاحية عند الرافعي؟ ما أثر البعد الإصلاحي في أدب الرافعي؟ للإجابة على هاته الأسئلة حاولت جاهدا أن أضع خطة متكاملة الجوانب تضم أهم مظاهر البعد الإصلاحي عند الرافعي وتختص في جانب آخر في الحديث عن جمالية هذه الخطابات ذات البعد الإصلاحي سواء ما جاء منها على شكل مقالة أو ما كان على شكل قصة، وقد قسمت عملي هذا إلى فصلين، سبقهما تمهيد تناولت فيه عتبة العنوان من ترجمة لحياة الرافعي، أتبعتها بوصف لكتاب وحي القلم وما يحتويه من مواضيع، مرورا بذكر البعد الإصلاحي عند الرافعي، وأثره الجمالي الذي تجلى في خطاباته الإصلاحية عموما، أما الفصل الأول فجاء بعنوان مظاهر البعد الإصلاحي عند الرافعي من خلال

كتاب وحي القلم، قسمته إلى ثلاثة مباحث الأول بعنوان البعد الإصلاحي في المجال الديني، واحتوى ثلاثة مطالب تمثل الأول في دفاع الرافعي عن الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية، والثاني في الدفاع عن الشعائر الدينية وعن علماء فقد تم الحديث فيه عن البعد الإصلاحي في المجال الاجتماعي والذي يتناول فيه موضوع المرأة وقضية الزواج ومشكلة الفقر في المجتمع، وكان المبحث الثالث والأخير في الحديث عن البعد الإصلاحي في المجال السياسي والذي بدوره شمل آراء الرافعي في الإصلاح السياسي سواء ما تعلق بمجتمعه أو بمقاومته للمحتل أو في نصرة القضية الفلسطينية، أما الفصل الثاني فهو عبارة عن دراسة فنية لجماليات الخطاب الإصلاحي ليتبين من ذلك الأثر الجمالي للبعد الإصلاحي في كتابات الرافعي في وحي القلم، وقد قسمت هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث خصص الأول لدراسة الأسلوب والأفكار، وتضمن الثاني خصائص بناء الصورة عند الرافعي، أما المطلب الثالث فتضمن الحديث عن لغة الرافعي وأهم ما يميزها. أما خاتمة البحث فأودعتها أهم النتائج التي تم التوصل إليها، و السبب الذي جعلنا نختار هذا الموضوع هو الميل لمثل هذه المواضيع الملتزمة والتي تحمل الطابع الديني وتسعى لبعث رسالة إصلاح ونصح في المجتمع لتترك أثرا طيبا في النفوس، أما السبب الثاني الذي دفعني للبحث في هذا الموضوع هو أن الإصلاح قد جاء بالخير والنفع على الأمة هذا من جهة أخرى أرى ضرورة انتشار هذه الكتابات الملتزمة وضرورة التقيد الكتابة الأدبية بتعاليم الدين ومثله العليا، خاصة في وقت كثرت فيه الكتابات الفضفاضة التي لا يهمها أفي تعاليم الدين الإسلامي وأخلاقه هي، أم أنها جانبت الصواب وخالفت الحقيقة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرافعي قد عرف بالتجديد كما عرف بالمحافظة، فقد ألبس أدبه حلة عصره ولكن المبادئ تبقى ثابتة وقيم الإسلام ظاهرة بينة، كما لاحظت من خلال ما توفر لدي من مراجع ودراسات عن أدب الرافعي أن الكثير منها ركزت على التفكير الإسلامي عند الأديب الرافعي، ولاحظت بأنه يمكن للقارئ أن يستشف الكثير من القضايا ذات البعد الإصلاحي خاصة وأن هذه الدراسات قد أشارت لبعض قضايا الإصلاح عنده خاصة فيما

يتعلق بالإصلاح الاجتماعي و بموضوع المرأة في المجتمع بالتحديد، أما باقي الجوانب ذات البعد الإصلاحي فيمكن أن يستشفها القارئ من خلال التوجه الإسلامي للرافعي أو من خلال الحديث عن تفاعل الرافعي مع أحداث عصره، وهذا العنصر أيضا حفزني في البحث عن أهم القضايا ذات البعد الإصلاحي عند الرافعي، أما فيما يخص المنهج فطبيعة مضامين البحث ألزمتني أن أعتمد المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الأسلوبي، وهذا من أجل الكشف عن البعد الإصلاحي عند الرافعي وكذا جمالية هذا الخطاب الإصلاحي، أما عن الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث المتواضع، فتمثلت بخاصة في صعوبة جمع مادة الموضوع وتفصيلها بما يناسب خطة البحث، أما ثاني الصعوبات فتمثلت في قلة المراجع التي تتناول أدب الرافعي بالدراسة والتحليل، بالإضافة إلى مشقة الوصول إلى ما توفر من هذه المراجع، وقد تعذر علي الوصول إلى العديد منها، وربما كان هذا يهون قليلا لو أن في الوقت متسعا ولكن هذا ما لم يكن، فالوقت الضيق لا يسمح بالتعمق في الدراسة أو مضاعفة الجهد للبحث عن المراجع التي تناولت أدب الرافعي، ومن الدراسات السابقة في أدب الرافعي نجد مذكرة ماجستير بعنوان الاتجاه الديني في أدب الرافعي نجاة محمد عبد الماجد العباسي و مذكرة ماجستير بعنوان الجمال في أدب الرافعي لمحمود شاكر خيون وقد ساعدتني هذه البحوث في دراستي المتواضعة، أما أهم المراجع التي استعنت بها: كتاب حياة الرافعي للعريان، وكتاب الرافعي فارس تحت راية القرآن للبيومي، وكتاب الرافعي كاتبا عربيا و مفكرا إسلاميا للشكعة .

وفي الختام أقول إن أصبت فذلك توفيق من الله وحده، وإن أخطأت فحسبي أنني حاولت واجتهدت مخلصا، والحمد لله أولا و آخرا، فبدونه لا ينفع شيء...، أحمده وأشكره على كل نعمه ظاهرة وباطنة، واستغفره على زللي، وقلة تقديري.

– وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب –

مدخل

أولا: ترجمة الرافعي

1/مصطفى صادق الرافعي أصوله ونسبه:

هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي[1] ابن عبد اللطيف البيساري بن عمر البيسار*، في نسب طويل من أهل الفضل يتصل بالصحابي الجليل عبد الله بن أمير المؤمنين الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[2]، وأصل أسرة مصطفى صادق الرافعي من طرابلس الشام، وأول وافد من هذه الأسرة العريقة إلى مصر هو الشيخ محمد الطاهر الرافعي سنة 1827، ويعدَ مرشد الأسرة الرافعية لمصر فتوافد إخوته وأبناء عمومته يتولون القضاء بخاصة، ويعلمون مذهب أبي حنيفة، فاجتمع منهم في وقت ما أربعون قاضيا موزعين على مختلف المحاكم المصرية، ووالد مصطفى صادق الرافعي الشيخ عبد الرزاق هو واحد من أحد عشر أخا اشتغلوا كلهم بالقضاء من ولد الشيخ سعيد الرافعي، كما نبغ من الأسرة الرافعية عدد كبير من الأدباء والفقهاء، ما جعل احمد شوقي يمتدحهم في حفل تكريم أحد أعلام هذه الأسرة "عبد الحميد الرافعي" الملقب ببلبل سورية، وهو من الأسرة الرافعية التي بقيت في الشام يقول أحمد شوقي في مطلعها:

أعرني النجم أوهبني يراعا يزيد الرافعيين ارتفاعا

ولقب الرافعي معروف في الفقه الإسلامي، ويذكر سعيد العريان صديق مصطفى صادق الرافعي أنه سأل الرافعي يوما عن سبب هذه التسمية فقال له "**لا أدري، ولكني سمعت من بعض أهلي أن أول من عرف منا بهذا الاسم شيخ من آبائي كان من أهل**

---

(1): خير الدين الزركلي، الأعلام،دط، ج7، دار العلم للملايين،بيروت، دس، ص235.

*الشيخ عمر لقب بالبيسار(بيه سر) مصطلح عثماني يعني أمانة الرئاسة،(ينظر الرافعي الكاتب، ص102) وقد ذكر البدري أن البيساري نسبة إلى بيسارة من مدن صعيد مصر(ينظر البدري، الإمام الرافعي، ص218)

[2]: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، د ط، دار الجيل، بيروت،دس، ص103.

الفقه وله حظ من الاجتهاد والنظر في مسائله، فلقبه أهل عصره بالرافعي، تشبيها له بالإمام الكبير الشيخ محمود الرافعي صاحب الرأي المشهور في الشافعية، والله أعلم"[1].

2/ مولده ونشأته:

ولد مصطفى صادق الرافعي شهر يناير من عام 1880 بقرية "بهتيم" بمحافظة القيلوبية في دار جده، حيث أصرت والدته على أن تكون ولادتها في دار أبيها "**وكان أبوها الشيخ الطوخي تاجرا تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام، وأصله من حلب، وأحسب أن أسرة الطوخي ما تزال معروفة هناك، على أنه كان قد اتخذ مصر وطنا له قبل أن يصل نسبه بأسرة الرافعي، وكانت إقامته في بهتيم من قرى مديرية القيلوبية، وكان له فيها ضيعة**"[2]

وتنقل الرافعي في بداية حياته بين عدة محافظات تبعا لطبيعة عمل والده، الذي كان يشغل منصب قاض في المحاكم، فتنقل بين "دمنهور" و "المنصورة" إلى حين تولي والده رئاسة محكمة "طنطا" فاستقر به المقام هناك، وفي "طنطا" نشأ الرافعي وإخوته واتخذها سكنا له حتى بعد وفاة والده، وكان أول ما بدأه صادق الرافعي من تحصيله العلمي على يد والده الشيخ عبد الرزاق، وأخذ من مجالس الشيوخ الذين كانوا يفدون إلى بيت والده، وأقبل على كتاب الله يحفظه " **فجمع القرآن الكريم حفظا وتجويدا، وهو في سن العاشرة** "[3]، واستوعب المبادئ الأساسية من تعاليم الدين واحترام الكبير في صغره، كونها ضرورة ينشأ عليها الفرد ويدب "**فلا ينشأ الناشئ منهم حتى يتناولوه بألوان من التهذيب تطبعه من لدن نشأته على الطاعة واحترام الكبير وتقديس الدين وتجعل منه خلفا لسلف يسير على نهجه ويتأثر بخطاه**"[4]، وقد تأخر دخوله إلى المدرسة ربما لكون التعليم آنذاك موزعاً بين المدارس والكتاتيب، والتحق الرافعي بالكتَاب في أول أمره وسنه لم يتجاوز السادسة، وتعلم

---

[1]: محمد سعيد العريان، حياة الرافعي،ط3، سنة 1955، ص27.

[2]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق ، ص23.

[3]: ينظر مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ،ج3،دط، دار الكتاب العربي، ،بيروت، لبنان،دس، ص18.

[4]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق ، ص28.

منه مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في "دمنهور" وهو ابن الثانية عشر وقضى بها سنة من تعليمه، وأبوه حينئذ يشغل منصب كبير القضاة الشرعيين في محكمة دمنهور، ولما نقل أبوه إلى مدينة "المنصورة"انتقل معه والتحق بالمدرسة "الأميرية" أين نال منها الشهادة الابتدائية بتفوق وكانت هذه نقطة النهاية في تعليمه النظامي، وقد أظهر مصطفى صادق الرافعي نبوغا وتميزا منذ صغره لفت به الأنظار وأدهش مدرسيه من ناحية، ولكن من ناحية أخرى أوغر به صدور بعض زملائه، خاصة وأنه كان لا يحب الإفراط في اللعب وحبذ التكلم باللغة الفصحى منذ صغره ليخفي ما كان في لسانه من اللهجة الشامية التي تنم عن أصله، وقد فطن أبوه الشيخ عبد الرزاق إلى ميل ولده للغة العربية الفصحى، فاستغل ذلك أيما استغلال، ووفر له كل ما يحتاجه طالب مجدّ في مثل سنه من كتب اللغة العربية وعلومها، وأخذ يلقنه أصول النحو والصرف والبلاغة، ويثبت في صدره حفظ كتاب الله وتفسير آياته، حتى رسخ ذلك في ذهنه وانعكس في أسلوبه ولغته، ومكّنه وهو ولد صغير من أن ينظر نظرة الكبار"**إذ اعتزم مرة أن يضع كتابا في العربية وفنونها يجعل شواهد النحو والصرف كلها من نظمه**"[1]، ولم يكن والده فقط صاحب الفضل فيما آل إليه صادق الرافعي، فأمه "أسماء" أيضا كانت تخصَه بالعناية والرعاية وتؤثره عن باقي إخوته خاصة وأنه كان ضعيف البنية وكان يطيعها ويبرّها "**وإليها كان يسند الفضل الأول فيما آل إليه أمره من الدرس والمطالعة والأخذ والاستيعاب..ثم الإمامة في الأدب حيث غدا حجة العرب في لغتهم والعلم بأيامهم وشعرهم ومأثورهم**"[2]، أما حظه من التعليم الرسمي فلم يتعدى حصوله على الشهادة الابتدائية وانقطع بعدها عن التعليم النظامي، ومرَد ذلك إلى مرض شديد أصابه، ألزمه الفراش أشهرا "**فما نجا منه وقد ترك في أعصابه أثرا كان حبسة في صوته ووقرا في أذنيه فيما بعد**"[3]، على الرغم من

---

[1]: مصطفى نعمان البدري، الإمام الرافعي، د ط، مطبعة دار البصري، بغداد، 1928، ص204

[2]: مصطفى نعمان البدري، المرجع نفسه، ص246.

[3]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق ، ص 29.

التماسه العلاج، إلا أن المرض كان في أعصابه، وبدأ سمعه يثقل شيئا فشيئا وكأن الأصوات صادرة من مكان سحيق ومحدثه لا يبعده أمتارا، حتى فقدت إحدى أذنيه السمع وما لبث أن تبعتها الأذن الأخرى، فما أتم الرافعي العقد الثالث من عمره حتى فقد السمع تماما وانقطع عن دنيا الأصوات، وكاد المرض أن يذهب بصوته لكن الابتلاء وقف هاهنا فوقف الداء عند ذلك، وكانت هذه العلة السبب الرئيس للتوقف عن التعليم النظامي "**لينقطع لمدرسته التي أنشأها لنفسه وأعدّ برامجها بنفسه وكان فيها المعلم والتلميذ**"[1]،وأضحى الكتاب جليسه ومادة معرفته، وغدت علته خيرا عليه وبركة، وكأنه علم أن الضربة التي لم تقتله إنما زادت في قوته، فجعل من الخسارة أرباحا مضاعفة.

3/ أســرته

تـزوج مصطفى صادق الرافعي وهو في سن الرابعة والعشرين من أخت الصحفي الكاتب عبد الرحمان البرقوقي، وهيَأت له ما يحتاجه من راحة وصفاء بال، وتفرغ لكتبه يطالع ويخط ببراعة ما جادت به أفكاره، وعاش في كفاف يكدَ أول النَهار في وظيفته البسيطة، ويكتب أدبا طرفا من النهار وزلفا من الليل، وسعى صادق الرافعي لأن يوفر لأولاده الجو المناسب للتعلم مثلما حضي به هو في صغره.

4/ البنية الثقافية

لا تتأسس بنية ثقافية مميزة ورائدة إلا إذا كان كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دستورها ومنهاجها، فمن نشأ على هذين الركنين فقد حاز الخير كله ونال من الفضل أتمه، وقد كان لمصطفى صادق الرافعي حظ منهما، إذ نهل من هذا النبع الصافي الرقراق فحفظ كتاب الله تعالى وهو دون سن العاشرة، وكانت له صولات وجولات مع كتب الحديث والفقه، فيكفي لدارس كتاب الله وسنة نبيه أن يكون مخلصا في عمله لربه محيطا بما جاء فيهما على فهم ودراية وبصيرة، حتى يبلغ من المجد كل سؤدد وينال من المنزلة كل رفعة ومن الرفعة كل شأن، وقد كان لأسرة الرافعي الفضل في تنشئته وتزويده بالأخلاق

[1]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص30.

الفاضلة، ما جعل منه أديب العربية، يسطع بالبيان ويقذف بالحجة الدامغة في وجه من يعاد الدين، وهذا ما ذهب إليه البيومي بقوله:" **أما الذي جعل منه أديب العرب وحجة الإسلام يوم الذياد عن الحقائق المؤمنة، فهو توفيق الله وإعداده إياه في أسرة مؤمنة كانت له كل شيء في تربيته الدينية، ونشأته الأدبية واتجاهه الخلقي**"[1]، وعرف عن الرافعي سعة إطلاعه، حيث أنه " **في القطار بنى طنطا وطلخا (وبالعكس) استظهر كتاب نهج البلاغة في خطب الإمام علي وكان لم يبلغ العشرين بعد**"[2]، وزيادة على سعة إطلاعه، فالرافعي يمتاز بقوة الذاكرة وحضورها، ولا أدل على ذلك ممَا ذكره صديقه العريان بقوله: " **أنه احتاج مرة أن يعبر عن معنى في أسلوب من أسلوبه فتأبى عليه القول، فأخذ يغمغم برهة وأنا منصت إليه، فإذا هو يقرأ لنفسه من ذاكرته بابا من كتاب المخصص لابن سيده**"[3]، أما حظه من اللغة الفرنسية فقليل، إذ قرأ بعض ما تيسر له ثم تركها بغير رجعة، وكان يمني النفس أن يرجع إليها إذا سنحت له الفرصة لذلك، ولكن أنَى لمثل الرافعي أن يجد فراغا، كما أن الرافعي كان على دراية بالآداب الغربية، ولكنها ليست الدراية التي تفضي إلى التبعية أو الانسلاخ من أصلك، وإنما هي المعرفة بما يحيط بك، حتى إذا خاطبت عرفت توجهك، وإذا كتبت عرفت قصدك، وإذا ناظرت عرفت هدفك "**ومن يتصفح كتابه (المعركة تحت راية القرآن) و(على السفود) يرُعهُ ذلك البصر بآداب اللغات الأوربية، كأنما لم يكن يفوته منها شيء أُحضر أو تُرجم**"[4]، وربما كان إطلاعه على العلوم الأوروبية المختلفة طاقة ودافع للتمسك بتراثه وأصله، وزيادة في تبصره، ويقينا بأن النجاة كل النجاة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وثقافة الرافعي عموما تتحكم فيها أربع مؤثرات أساسيها نوضحهما كالآتي:

---

[1]: محمد رجب البيومي، الرافعي فارس تحت راية القرآن، ط1، دار القلم، دمشق،1997، ص17.

[2]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص 33.

[3]: محمد سعيد العريان، المرجع نفسه، ص226.

[4]: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص 318.

أ. **كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم:** وما سبب نبوغه وحياة أدبه إلا هذا، وكلما زاد علما بهما فالخير فيهما أزيد، وقد تجلى أثرهما في أدبه.

ب.**إطلاعه على تراث العرب وثقافتهم:** للرافعي ثقافة واسعة في هذا المجال واستوعب الكثير من أدبهم وسبق أن ذكرنا استظهاره لكتاب منهج البلاغة، وفصل من كتاب التخصص لابن سيده، كما عرف كثرة قراءاته للجاحظ وابن الأثير،إذ" **أنه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ**"[1] .

ت.**اطلاعه على التراث الإسلامي:** وكانت البداية بمكتبة أبيه العامرة بأنواع كتب الفقه و الحديث والتاريخ الإسلامي، وقد كتب الرافعي الكثير من القصص من الثراث الإسلامي.

ث.**معرفته بالكتب المترجمة:** وكان يحاور بها خصومه إذا لزم الأمر "**ومن هنا تسللت إلى قلمه بعض عبارات (التراجمة) وقد استعملها من غير أن يفطن إلى ما وراءها، على الرغم من شدة حساسيته** "[2].

وكان لهذه المؤثرات منحى خاص عرف به الرافعي في كتاباته، فعبر أدبه عن ثقافته وسعة إطلاعه،وجعل منه علما يزهوابه الأدب ويستدل به في فنون القول وأسرار اللغة.

5/وفاته: [3]

في صباح يوم الاثنين 10 مايو عام 1937 استيقظ الرافعي لصلاة الفجر، فتوضأ وصلى ثم جلس يقرأ آيات بينات من الذكر الحكيم، ثم تناول دواءا وصفه له ابنه الدكتور محمد، ليذهب ما يحس به من حراق في معدته، وأشار إليه ابنه بأن ينام، وبعد ساعة نهض الرافعي من فراشه وقد ذهب ما كان يحس به من ألم، وأخذ طريقه إلى الحمام فلمَا كان في البهو سقط سقطة عنيفة فهب إليه أهله مذعورين، ليجدوا الرافعي قد أسلم روحه لبارئها ،

---

[1]: عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دط، دار الجيل، بيروت، ص468.

[2]: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، ص468.

[3]: ينظر كمال نشأت، مصطفى صادق الرافعي، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر ، ص 24.

ودفن في عصر هذا اليوم في مقبرة طنطا بجوار والديه، وبهذا يكون قد سكن لسان وجف قلم قطب من أقطاب الأدب العربي و"**ثروة من ثروات الأمم لا تكتسب بالحيلة ولا بالإرث**"[1] فرحم الله الأديب مصطفى صادق الرافعي وجعل ما أثمر أدبه في سبيل الدفاع عن الإسلام في ميزان حسناته.

6/ آثاره الأدبية: [2]

الرافعي من قلائل الأدباء الذين كتبوا في النثر ونظموا في الشعر، إلا أن حظه من الكتابة النثرية كان أكبر وأجمل، وله العديد من الآثار المطبوعة وغير المطبوعة فهو أديب غزير الإنتاج، يتبوأ مكانة رفيعة بين الأدباء وتتمثل آثاره فيما يلي:

أ/ آثاره الشعرية المطبوعة:

1.ديوان الرافعي: في ثلاثة أجزاء: طبع الأول سنة(1321هـ/1902م)، والثاني سنة (1322هـ/1903م)، أما الجزء الثالث طبع سنة (1324هـ/1908م).

2. ديوان النظرات: طبع الجزء الأول بمطبعة الجريدة بمصر عام (1327هـ/1908م)

3.النشيد الوطني المصري: نشرته المكتبة الأزهرية بمصر عام (1939هـ/1920م).

4.اسلمي يا مصر – نشيد سعد زغلول– صدر عام (1342هـ/1923م)

ب/ آثاره الشعرية غير المطبوعة:

1.ديوان النظرات: الجزء الثاني عبارة عن قصائد متنوعة نظمها على فترات ونشر بعضها في الصحف، وتوزع الباقي بين أوراقه وأيدي أصدقائه.

2.أغاريد الرافعي: ديوان فريد في الشعر الحديث ضم مجموعة من القصائد الغنائية، والتي ناغى بها أبناءه...وضم أيضا مجموعة من الأناشيد القومية والوطنية.

3.الفؤاديات: يضم مجموعة قصائد مناسبات سواء ما تعلق بالأيام الملكية وغيرها.

4.بقايا الديوان: مجموعة من القصائد المتناثرة هنا وهناك بين كتاباته النثرية.

---

[1]: أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة– فصل في الأدب والنقد والاجتماع – ، ط7،مج1،مطبعة الرسالة، مصر،1962.

[2]: ينظر مصطفى نعمان البدري، المرجع السابق، ص 389–473.

ج/ آثار الرافعي النثرية:

1.حديث العمر: صدر في طبعته الأولى عام 1912 عن ناشره محمد سعيد الرافعي.

2.تاريخ آداب العرب: في ثلاثة أجزاء: الطبعة الأولى سنة1911، والجزء الثاني عام 1912 فيما طبع الجزء الثالث بعد وفاته، أخرجه سعيد العريان سنة (1360هـ/1941م).

3.إعجاز القرآن: وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب صدرت، طبعته الأولى عام (1332هـ/1914م)، درس فيه إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، وانفرد بمسماه الجديد في الطبعتين الثانية والثالثة صدرت عن دار المقتضى عام 1928 وأعيد طبعه مرات عديدة.

4.كتاب المساكين: صدرت الطبعة الأولى عام (1335هـ/1917م) .

5.رسائل الأحزان: صدر عام 1924.

6.تحت راية القرآن: المعركة بين القديم والجديد، جمع به كل ما كتب الرافعي في المعركة بين القديم والجديد من عام 1908 إلى غاية 1926 وطبع عدة مرات.

7.السحاب الأحمر: كتب في فترة متقاربة مع رسائل الأحزان وطبع أكثر من مرة.

8.على السفود: كتاب في النقد و التحليل صدر الجزء الأول سنة 1931

9.أوراق الورد: صدر عن المطبعة السلفية سنة (1349هـ/1931م) وأعيد طبعه مرات

10.رسالة الحج: طبع بمطبعة المستقبل بالإسكندرية.

11.وحي القلم: يضم مجموعة من المقالات والخواطر والقصص في 3 أجزاء: طبع الجزء الأول والثاني في حياته، والجزء الثالث بعد وفاته جمعه صديقه سعيد العريان من قصاصات وأوراق وجدها في مكتبة الرافعي: الجزء الأول والثاني صدرا عن مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة عام (1355هـ/1936م) وأعيد طبعهما مرات مع الجزء الثالث الذي أخرجه سعيد العريان.

12. رسائل الرافعي: أخرجها محمود أبو رية مطبعة الحلبي–القاهرة سنة (1371هـ/1950م).

د/ آثاره النثرية غير المطبوعة:

1.موعظة الشباب: قصة تمثيلية ورواية في آن واحد، تحوي فصولا من الشعر مزجها بالنثر ونشر شيء منها في الجزء الثالث من ديوانه.

2.ملكة الإنشاء: عبارة عن موضوعات جعلها كنماذج لتربية ملكة الإنشاء منها ما نشره في الجزء الأول من ديوان النظرات ومنها ما نشره في الجزء الثالث من الديوان.

3.شعراء العصور وطبقاتهم: نشر العديد من فصوله في الصحف والمجلات.

4.فصح الكلام: كتاب في اللغة، كان في عام 1928عبارة عن ، ولم يطلع عليه أحد إذ آثر أن يتمه أولا، ولكن لم يتحقق له ذلك.

5.أسرار الإعجاز: عزم–رحمه الله– أن يؤلفه خاصة بعد النجاح الذي عرفه كتاب –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية– فكان مشغول الفكر بإتمامه، وبعد وفاته كان الكتاب يكاد يكون تاما في كثير من أبوابه وفصوله.

6.الكتاب النبوي : كتب الرافعي في السيرة النبوية في كتابه –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية– لكن بقيت بعض المعاني أراد أن يتمها، ولما وجد في كتاب طه حسين –على هامش السيرة– نوعا من التهكم الصريح أراد الرد على هذا وأمثاله ممن يتاجرون بالسيرة العطرة.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، فهناك العديد من البحوث والمقالات التي لم تحظ بالعناية لجمعها وتصنيفها.

ثانيا: كتاب "وحي القلم"

يعد الكتاب واحدا من أجود ما كتب الرافعي، يتشكل من ثلاثة أجزاء تحمل بين طياتها مجموعة من المقالات والقصص " **كان قد نشرها في الصحف والمجلات مثل مجلة الرسالة والمقتطف**"[1]، حيث كان يكتب في فترات متباعدة للعديد من المجلات المصرية المنتشرة في عصره، إلى أن" **دعاه أحمد حسن الزيات للإسهام في تحرير مجلة الرسالة، فلبى الدعوة**"[2] وبدأ العمل لمجلة الرسالة سنة 1934، فكان لهذه المجلة الحظ الأوفر من كتابات الرافعي التي ضمنها "وحي القلم"، وأخذ "**يكتب لها كل أسبوع مقالة أو قصة، لا يفتر عن هذا الواجب إلا أن يمنعه المرض أو تشغله شاغلة من شواغل الحياة** "[3]، ولكتاب "وحي القلم" 3 أجزاء طبع منه الجزء الأول والثاني في حياته، أما الجزء الثالث فبعد وفاته جمعه صديقه سعيد العريان من قصاصات وصفحات من مجلات وجدها في مكتبة الرافعي، مما نشر وما لم ينشر في المجلات والصحف، وقد طبع الجزءان الأولان مع الجزء الثالث أكثر من مرة.

تحدث سعيد العريان في مقدمة الكتاب عن أهم الخصائص أو السمات التي تميز بها الكتاب عن غيره من مؤلفات الرافعي قائلا"**إن هذا الكتاب يجمع كل خصائص الرافعي الأدبية متميزة بوضوح، فمن شاء فليقرأه دون سائر كتبه، فسينكشف له الرافعي في سائر كتبه**"[4] وقد احتوى الكتاب على مقالات متنوعة الأغراض مختلفة الأدوار، خالية من التعقيد لأنه يخاطب القراء بمختلف أطيافهم وشرائحهم، ومن خلال هاته الكتابات تتضح شخصية الأديب سواء من ناحية اختياره للموضوع أو في كيفية معالجته، وكأنه مرآة عاكسه لشخصه تحمل أفكاره وانطباعاته إزاء ما يحصل في مجتمعه، فالأديب هو ابن

---

[1]: جمال الدين الرمادي، من أعلام الأدب المعاصر،د ط، دار الفكر العربي، ص 114.

[2]: شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر،ط10،دار المعارف ، ص 244،245.

[3]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص230.

[4]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص7.

بيئتة يؤثر فيها ويتأثر بها، وفي هذا الصدد نقرأ قول سعيد العريان "**كذلك أقول هنا إنه يجمع كل خصائصه العقلية والنفسية متميزة بوضوح في موضوعه، ففيه خلقه ودينه، وفيه شبابه وعاطفته، وفيه تزمته ووقاره، وفيه فكاهته ومرحه، وفيه غضبه وسخطه، فمن شاء أن يعرف الرافعي عرفان الرأي والفكرة والمعاشرة فليعرفه في هذا الكتاب**"[1].

وأول ما يصادفنا في الكتاب آي من الذكر الحكيم، يليه في الصفحة التي بعدها نص دعاء الإمام محمد عبده للرافعي يقول فيه" **أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفا يمحق الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل والسلام**"[2]، وكتاب "وحي القلم" متعدد الموضوعات متنوع القضايا، يضفي على القارئ جوا من البهجة ويمنحه الرغبة والشغف لمعرفة المزيد، كونه يفيض بالسخاء ولا يبخل بالعطاء، ويزداد به القارئ رفعة وسموا حين يصادف قصة من قصص الأعلام المسلمين، أو عندما يقرأ مقالا مشبَعا بمعاني القيم الإسلامية وأخلاقه الفاضلة، وبأسلوب واضح جلي، وإن كان هذا الأسلوب لم يُعرف به الرافعي من قبل ولكن عند اتصاله بالصحافة بسط أسلوبه للقراء، كما أن لغة الكتاب هي لغة راقية عنوانها روعة البلاغة وقمَة البيان، ومن أهم الموضوعات التي احتواها الكتاب:

1.موضوعات دينية: خير ما يُكتب وأجلَه، فالقارئ هنا لا يقرأ لحب المطالعة والشغف بها فقط، وإنما ليزداد بها رفعة فينتفعَ وينفَع، ونذكر بعض العناوين لهذه الموضوعات على سبيل المثال لا الحصر:الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام، الإنسانية العليا...

2.**موضوعات اجتماعية:** والعارف بأمور الدين يجب أن يكون ناصحا مرشدا لسبل الخير آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، ونجد في الكتاب الكثير من القضايا الاجتماعية التي عالجها الرافعي أهمها: قضية المرأة والزواج وقضية الفقر في المجتمع، فالرافعي يخاطب المرأة المسلمة ويحاول جهده نصحها بأن تحافظ على أخلاقها الإسلامية وتتمسك بمبادئ

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 1، ص9.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج ن، ص 6.

وقيم الدين الحنيف، فكتب العديد من المواضيع في هذا الصدد نذكر:" تربية لؤلئية"،"احذري"...، كما نجده مرهف الحس عندما يتحدث عن آلام "الفقراء"، وكأنك تحس بين سطوره أناتهم، فيصور لنا بؤس طفل مشرد مع أخته رآهم نائمين في الشارع، فكتب مقالة "أحلام في الشارع"، كما نجده ينصح الفقراء بضرورة التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة حكمة فقره، كما في موضوعه الموسوم بعنوان " سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الأعظم.

3.موضوعات سياسية: كتبها عندما شعر بخطر الانجليز في بلده ولاحظ أن عودهم بدأ يشتد أمام تخاذل المسلمين الذين هم بالأصل والفطرة أقوياء بدينهم أعزة بإسلامهم، وما ضعفهم واستكانتهم إلا نتيجة ابتعادهم عن دينهم، كما عبر الرافعي عن الأحوال السياسية في بلده، فكتب مقالات بعنوان "الطماطم السياسي"،"خضع يخضع"... وكتب أيضا عن قضية فلسطين.

وقد قلنا أن كتاب "**وحي القلم**" ضم بين طياته مجموعة من القصص ناتج من اطلاعه الرافعي بالتراث الإسلامي و تأثره به، وفهمه لمراميه، ومحاولة منه لنشر الحكمة والموعظة الحسنة، حين يصف شمائل وأخلاق شخصيات من أعلام الأمة الإسلامية ويسرد بعض مواقفهم الجليلة، حتى يكون ذلك مثالا يحتذى به للأجيال، ومن بين هذه القصص نذكر: **'قصة اليمامتان"**، "**قصة زواج وفلسفة المهر**"... والرافعي إن تكلم عن موضوعات من التراث إلا أنه عرضها عرضا جديدا، ينم عن روح التجديد عنده وكفاءته الأدبية العالية، وساعده في كل ذلك ثقافته الإسلامية المستمدة من خير الكلام وأجله كتاب الله وسنة نبيه المطهرة، فغدا كتاب "**وحي القلم**" قلبا نابضا بالحياة يحمل بذرة الخير ويتدفق بمعاني الكلام الجميل.

ثالثا: البعد الإصلاحي

شهدت أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حركة نشطة في مجال الإصلاح في المشرق العربي، تلقفها طبقة من الأدباء والمثقفين بعد إحساسهم بضرورة تغيير الأوضاع وإرجاع الناس إلى جادة الصواب، والذي لا يتأتى إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهما طوق النجاة ونبراس الهدى لمن أراد أن يهتدي، قال صلى الله عليه وسلم «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض**» [1]، فما أحوج الأمة الإسلامية الآن إلى الرجوع إلى دينها والتمسك به، ففيه شفاء الروح وروح الحياة وحياة القلوب، ونجاتها في دنياها وأخراها، وقبل الخوض في الحديث عن البعد الإصلاحي عند الرافعي وجب الإشارة أولا إلى مفهوم الإصلاح .

1/مفهوم الإصلاح:

أ.الإصلاح لغة: ورد في لسان العرب: " **الصلاح:ضد الفساد، صلَح يصلَح ويصلُح صلاحًا وصُلوحا .. والإصلاح :نقيض الإفساد ... وأصلح الشيء بعد فساده أقامه ... والصلح : تصالح القوم بينهم، والصلحُ: السلم.**"[2].

فالإصلاح إذن هو محاربة الفساد ومجابهة المفسدين والتصدي لهم بطرق الخير، ومحاولة تغيير ما كان خاطئا، وإرجاعه إلى جادة الصواب.

ب.اصطلاحا: اقترن لفظ الإصلاح في كتاب الله عز وجل بنقيضه أي الإفساد، والإصلاح لا يكون إلا من عارف بأمور الشرع، محب للخير، ناصح للناس، قال الله تعالى

---

[1]: محمد بن ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط3، المكتب الإسلامي، 1988، رقم الحديث 2937، ص 566.

[2]: ابن منظور، لسان العرب، (مادة صلح)، دار صادر، بيروت، دس، المجلد الثاني، ص516،517.

« وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »[1].

ونجد الإصلاح في السنة النبوية المشرفة لا يختلف عما سبق ذكره، فعن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحسن بن علي رضي الله عنهما «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله تبارك وتعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[2]، وقد تحقق هذا حينما تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم جميعا، وتحقق الصلح بين المسلمين.

وجاء في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس مفهوم الإصلاح بقوله" **هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزاء ما طرأ عليه من فساد**"[3]، والإصلاح الحقيقي لا يكون إلا في الإسلام، وذلك بالرجوع إلى قيم الدين والتمسك بتعاليمه والالتزام بأحكامه، والإصلاح الإسلامي"**ليس تغييرا جزئيا ولا سطحيا، وإنما هو تغيير شامل وعميق،يبدأ من الجذور ويمتد إلى سائر مناحي الحياة..بل إنه لا يقف عند ميادين الحياة الدنيا، وإنما يجعل من صلاح الدنيا السبيل إلى الصلاح والسعادة فيما وراء هذه الحياة الدنيا..**" [4].

والبعد الإصلاحي الذي نقصده في دراسة كتابات الرافعي في وحي القلم هو المتمثل دحض الشبهات والتصدي لأعداء الدين واللغة هذا من جهة، ومن جهة أخرى حمل بذرة الخير ومحاولة نصح المسلمين وتذكيرهم بما جاء في دينهم من خير الدنيا والآخرة، وكل على ذلك على ضوء كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

[1]: سورة الأنعام، الآية رقم 48.

[2]: أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد ،ج5، حديث رقم(20408)، ص41.

[3]: عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس – في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير–،علق عليه وأخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، سنة 2002، ص73.

[4]: محمد عمارة، الإصلاح بالإسلام– معالم المشروع الحضاري للإمام محمد عبده–، إشراف عام داليا محمد إبراهيم ط1، نهضة مصر، سنة2006، ص17.

وعلى ضوء ما سبق يكون الإصلاح عمل يحمل معاني الخير والنصح والأخلاق الحميدة التي حثنا عليها ديننا الحنيف، ويكفي مع الإصلاح إخلاص العمل وأن يكون مصدره كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهذا مصدر الإصلاح وسبيله، وهنا فقط يؤتي الإًصلاح أكله وينتفع الناس.

2/ البعد الإصلاحي عند الرافعي:

حمل مصطفى صادق الرافعي الفكرة الإسلامية في أدبه ودافع عليها، وبرز في حومة الدفاع هاته بعد إصلاحي ينم عن توجهه الإسلامي، فقد نظر الرافعي فرأى أعداء الدين يسيئون إلى الإسلام والعربية، فحز ذلك في نفسه وانبرى لهم كاتبا مبدعا وناقدا ملهما، ولزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصداقا **لقوله تعالى« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ »**[1]

ولم يكن الرافعي يضع برامج أو خطط مسبقة لعملية الإصلاح ولم يكن مهاجما بادئا ببدء، يقول البيومي "**مصطفى صادق الرافعي كان مدافعا لا مهاجما، وقد ظلمه من وصفه بالاندفاع المتهجم، فالرجل المؤمن لم يتربص بأحد بدءا، ولكنه نظر فوجد المغرورين يسيئون للإسلام والعربية، ولهم ذيول تردد ما يقولون**"[2]، فحتم عليه الواجب التصدي لمن تسول له نفسه الإساءة للدين أو للغة العربية، وغدت المسألة عنده فرض عين لا فرض كفاية، إذ لا يستطيع أن يقف محايدا وهو الذي حباه الله البيان الرفيع واللغة الرصينة والحجة الدامغة" **ولقد أدى الرافعي دوره في زمنه، فقد كانت البلاد في حاجة إلى أمثاله من الغيورين على الخلق والدين والتقاليد، في وقت اتجهت البلاد فيه ناحية الغرب لا تعرف ما تأخذه منه ولا تدع، فكان هو وأمثاله صمام الأمان الذي خفف من غلواء**

[1]: سورة آل عمران، الآية رقم 110.

[2]: محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص 127.

الانكباب الأعمى على الأخذ من حضارة الغرب وأهلها"[1]، فكان حقا على الرافعي أن يقف سدًا منيعا يذود عن حمى الدين و يدافع عن الأخلاق، فألف كتاب "تحت راية القرآن" و"كتاب الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية" وكتاب وحي القلم الذي جمع مقالات متنوعة وقصص هادفة غرضها الأول الحكمة والعظة، وتميز بأدبه وانفرد بأسلوبه الجميل ولغته البليغة التي تكشف عن سعة اطلاعه وأصالة عباراته، وتبقى شاهدة على علو كعبه بين أدباء عصره، وكانت هذه الكتابات تعبيرا صادقا على شخصية صاحبها "**وليس الدفاع عن الدين واللغة في ذاته إلا جزءا من كيان هذه الشخصية وجانبا من التعبير عن النفس فيها**"[2]. فعبرت هذه الكتابات عن كفاح موجه لإقامة صرح من صروح الحق والخير أو هدم عرش من عروش الزيغ والشر، وهو في كل ذلك ملتزم بعناصر الشعرية وشروطها، لكون "**الشعرية مقاربة للأدب مجردة وباطنية في الآن نفسه**"[3]. والقارئ المتمعن في كتابات الرافعي يتذوق معنى أصالة الأدب ويستشف المعاني الراقية من الخير والجمال، فالكاتب وإن تعددت موضوعاته وتنوعت إلا أنها لا تخرج من مملكة الأدب ولا تحيد عنها، فكأن كلماته هي جيوش هذه المملكة العريقة مسلحة بالمعاني الصادقة التي لا تضرب لتقتل وإنما لتنصح وتردع ، وكأن أسوارها عالية بقدر علو كلمة الحق فيها، ما جعل للرافعي" **شأن عظيم في مضمار حياة الأمة والفكر في العصر الحديث**"[4].

وقد حمل الأديب الرافعي معاني الفكرة الإسلامية الأصيلة التي تحمل كل معاني الخير والصلاح، ودافع عنها بحزم، وظل يقارع تلك الاتجاهات المنحرفة التي تحاول أن تقوض أركان الأمة الإسلام و تسعى للنيل من اللغة العربية، ورأى بأن هذه الاتجاهات إنما هي معاول هدم وبوادر تعفن في جسم الأمة،وجب التصدي لها ورد كيدها، وعرف بأن الدواء

---

[1]:كمال نشأت، المرجع السابق، ص84-85.

[2]: أنور الجندي، من أعلام الفكر والأدب، دط، الدار القومية للطباعة والنشر، دس، ص 38.

[3]: تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، دار توبقال، المغرب، دس، ص23.

[4]:مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، ص13.

والنجاة إنما هو بالرجوع إلى معين الكتاب والسنة، وما كان منهما فهو معنى النجاح ومؤشر الفلاح، وعلم بأن الأدب هو الذي يبقى أثره يعبّر عن معنى الحق والخير الذي لا تمسح أثره الأيدي ولا تغيّبه السنون، فيقول" **إذا أردت الأدب الذي ينشأ الأمة إنشاءا ساميا، ويدفعها إلى المعالي دفعا، ويردها عن سفاسف الحياة، ويوجهها بدقة الإبرة المغناطيسية إلى الآفاق الواسعة، ويسددها في الأغراض التاريخية العالية تسديد القنبلة خرجت من مدفعها الضخم المحرر المحكم، ويملأ سرائرها يقينا ونفوسها حزما وأبصارها نظرا وعقولها حكمة... إذا أردت الأدب على كافة هذه الوجوه من الاعتبارات رأيت القرآن الحكيم قد وضع الأصل لذلك كله**"[1]

ولقد انعكست معاني الإصلاح في أدب الرافعي وتجلت في الكتب التي ذكرناها آنفا والتي تحمل التوجه الديني، هذا التوجه الذي برز منه بعد إصلاحي انعكس على العديد من المواضيع التي تطرق إليها الرافعي، والتي مكنته من أن يحمل شعار الأدب الإصلاحي، وهذا ما ذهب إليه عبد السلام أقلمون، بقوله " **لعل القارئ المتمعن في أدب الرافعي وأعماله، يستشعر ذلك الانتماء الأصيل إلى الأدب، فالكاتب مهما تناول موضوعات الفكر والحياة والإنسان فإنه يفعل ذلك وهو في مملكة الأدب لا يغادرها، لهذا فإن أدبه بحق هو الأدب الذي يستحق أن يحمل شعار الأدب الإصلاحي...فهو معرض ينبسط فيه الأدب شكلا وروحا، ويتشرب القارئ معاني الإصلاح الجميلة في حلل من أنساق الفن الجميلة**"[2] وكيف لا يكون مصلحا وأثر الإسلام باد في فكره واضح في أدبه، فكان غذاؤه الأول قرآنا حفظه في صغره، وفقها تعلمه، ولغة ملك ناصيتها ولأن "**دارس القرآن عن فهم، وقارئ الحديث النبوي عن تبصر، وحافظ مسائل الشافعي وأبي حنيفة عن حذق، لابد أن يكون بليل الريق إذا خطب، ناصع البيان إذا كتب، قوي العارضة إذا**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 158،159.

[2]:عبد السلام أقلمون، ، شعرية الإصلاح في أدب الرافعي، مجلة حراء. اسطنبول، العدد7،سنة2007،ص59.

ناظر، هذا إلى عزة نفسية يخلعها الإيمان الصادق على من يعرفون كرامة المؤمن ونخوة الإنسان في ظل الدين الحنيف"[1].

فلا بد أن يظهر أثر هذا الزاد في سلوكه ومواقفه لأن الإسلام منهج حياة يقوم على التوحيد الخالص والإيمان الصادق ينير الدروب ويهدي إلى سبل الخير، لتحدد بذلك المواقف والعلاقات في جميع الميادين، وكان للفكرة الإسلامية أثر كبير في فهمه للواقع وتعامله معه، فرأى إقبال الكثير من المسلمين على تقليد الغرب وتأثرهم به وشهد مظاهر التحول السريع، كما رأى الاستدمار الغاشم يعيث في الأرض فسادا، فتمسك بوطنيته وكان ينظم لها "**بلادي هواها في لساني وفي دمي يمجدها قلبي ويدعوا لها فمي**"[2]، وصرخ في وجه مظاهر التخلف واعوجاج الألسنة باللغات الأجنبية التي سادت أغلب بقاع الوطن العربي، وكان السبب الرئيس في ذلك هو الاستدمار الغاشم الذي حاول بشتى الطرق إبعاد الأمة الإسلامية عن دينها وهويتها، أمام هذه الفتن جاء الرافعي يحمل زاده وعلمه فدارت معارك حامية الوطيس بينه وبين من أراد رمي الشبهات في الدين أو اللغة.

ومن خلال العناصر السابقة التي ذكرناها في أثر الفكرة الإسلامية في بروز الفكر الإصلاحي عند الرافعي،فإن أثرها أيضا قد طبع كتابات الرافعي بخصائص أهمها:

1. الأصالة الإسلامية: من أوضح السمات في أدبه وتبدو بارزة منذ نشأته إلى أن وافته المنية رحمه الله.

2. أصالة المعاني والألفاظ: إن المتمعن في أدب الرافعي يستشعر سمو المعاني وبلاغة القول ودقة اللفظ، مكنت الرافعي من أن يكون له مذهب خاص في الكتابة، وفي هذا الصدد يقول أحمد حسن الزيات" **رحم الله الرافعي! لقد كان في الكتاب طريقة وحده!**

---

[1]: محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص18.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، الديوان، شرحه محمد كامل الرافعي، ج1، دط، مطبعة جامعة الإسكندرية،1322هـ،ص 23.

وحسب الكاتب مزية ألا يكون لأسلوبه ضريع في الأدب كله"[1]، فكان أسلوبه ولغته مميزة عن باقي أدباء عصره.

3. القوة في الحق: سمة بارزة في أدبه ومثال ذلك أن العقاد قال عنه يوما "**إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان مالا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها**"[2] إلا أن هذا لم يشفع للعقاد من أن يتعرض له الرافعي بالنقد اللاذع فيما بعد، وذلك حرصا على فكرته.

وخلاصة ما سبق أن أثر التوجه الإسلامي في أدب الرافعي أضفى على أفكاره بعدا إصلاحيا تجلى في الكثير من كتاباته .

رابعا: الأثر الجمالي للبعد الإصلاحي عند الرافعي:

إن من يحمل الإسلام في قلبه ويحب أصوله وعروبته، لا بد ولا شك أن يكون محبا للخير، ناصحا أمته، حاملا لرسالة الإصلاح، وتبقى الوسيلة وحدها هي التي تحدد كيفية انعكاس هذه القيم في نفس المؤمن لتتجسد في واقعة، فكان جهاد الرافعي هو جهاد الكلمة وكان فارس الأدب يمتطي الأسلوب الرصين ويصوبه كيفما شاء، ماسكا بلجام اللغة البليغة، فجاءت مقالاته الأدبية مسلوقة للوقائع، التي شهدها وللأحداث التي عايشها، وعرف معنى الأديب الذي يسعى لنصح الإنسانية مبتدءا بأبناء جلدته والأقربين، فيقول في الأديب " **لو أردت أن تعرف الأديب من هو، لما وجدت أجمع ولا أدق في معناه من أن تسميه الإنسان الكوني، وغيره هو الإنسان فقط**"[3]. وتحكمت معاني الإصلاح في نفسه، لأنه عرف واجب الدفاع عن الدين واللغة، وهو الذي وهبه الله يراعا يبدع به كيفما شاء، مشبعا بمعاني الفكرة الإسلامية، فقد بحث عن الخير والجمال في الأدب إذ يقول:"**ثم إن**

---

[1]: أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 439.

[2]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص183.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص155.

الاتساق في الخير والحق والجمال وهي التي يجعل للحياة الإنسانية أسرارها"[1]، وعلم أن الأدب إنما هو دليل على التأديب والتأدب، فبحث عن معنى الفضيلة في الأدب لأنه يكتب في صفحة من صفحات كتاب الإنسانية، يكتبها بمداد قلبه بعد أن يصبغها بعاطفته ووجدانه كما يقول:" **لا أراني وضعت كل كتابي إلا في قصة بعينها هي قصة هذا العقل الذي في رأسي وهذا القلب الذي بين جنبي**" وسعى الرافعي لأن يجعل من الفضيلة عنوانا للأدب لترقى كتاباته وترتفع عن الدنايا والصغائر " **وبذلك تتكامل ثنائية الأدب، وتلتحم شكلا ومضمونا لتركيب عملة فنية لها وجهان: الفضيلة والجمال أو الشكل والموضوع. فالفضيلة من منظوره جمال موضوعي، والبيان فضيلة شكلية. لذلك كان هدفه الدائم أن يُفرغ كل شحنات الجمال التي يتسقّطها من هنا ومن هناك، ليملأ بها وجدان القراء فيزدادوا بأدبه فضيلة وجمالا، وإذا عرف شأن هذا المطلب عرف شأن الرافعي**"[2].

وقد انعكس أثر البعد الإصلاحي المستمد من التوجه الإسلامي للرافعي على أدبه، وأضفى عليه جمالية وحسنا، تجلت بالخصوص في خطاباته الإصلاحية التي أوردها في كتابه وحي القلم، وسنركز في دراستنا هذه على أهم العناصر الأدبية التي تتجلى فيها جمالية البعد الإصلاحي، وهي كالآتي:

1. الأسلوب: سعى الرافعي إلى التبسيط في الأسلوب مع المحافظة على قوته وجماله، فظهر الفرق بين كتابه وحي القلم وبين كتبه الأخرى.

2. الأفكار: جاءت تنشد السمو وتبحث عن الرفعة، وترتقي بالنفس، فبرزت النزعة الإصلاحية في تفكيره وصقلها بموهبته الخارقة فأنتجت أدبا راقيا.

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج س، ص154.

[2]: عبد السلام أقلمون، شعرية الإصلاح عند الرافعي، ص60.

3. اللغة: ملك الرافعي ناصية اللغة وأحاط بجوانبها وتمكن من قواعدها، إذ كان"**عليما بأسرار اللغة بصيرا بمواقع اللفظ خبيرا بمواضع النقد، محيطا بمذاهب الكلام**"[1]، يستدلّ به في شؤون اللغة وعلوم اللسان، ومع ذلك فإنه لم يتخذها وسيلة للبهرجة والزينة، حيث مال إلى الوضوح والبساطة في كتابه "وحي القلم" حتى يتسنى لقرائه فهمه، وعمد على الإصلاح اللغوي من خلال موقفه من اللغة العامية.

4. الاقتباس والتضمين من كتاب الله والسنة النبوية الشريفة: وهذا أمر طبيعي كونه مصدر ثقافته الأولى، ورسالة الإصلاح لا تقوم إلا بهما.

5. بناء الصورة: ملك الرافعي خيالا خصبا متقدا، استطاع من خلاله أن يحافظ على الصورة مرتسمة في ذهنه، مشبعة بفنون من الأفكار وأطياف من المعاني، هذه المعاني التي تعرف بأنها" **الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان**"[2]، ثم يحولها إلى صورة صادقة تنم عن عاطفتة، ليصوغها بعد ذلك في قالب من العمل الإبداعي عبر به عن أدبه.

---

[1]: أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص441.

[2]: حـازم القرطـاجني، منهـاج البلغـاء، تقـديم وتحقيـق محمـد الحبيـب ابـن الخوجـة، ط3، الـدار العربيـة للكتـاب، تونس،2008. ص 17.

الفصل الأول: تجليات البعد الإصلاحي في أدب الرافعي من خلال المدونة(وحي القلم)

المبحث الأول: البعد الإصلاحي في المجال الديني .

المطلب الأول: الدفاع عن إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية.

المطلب الثاني: الدفاع عن شعائر الدين الإسلامي وعلماء الإسلام .

المطلب الثالث: الدفاع عن اللغة العربية .

المبحث الثاني: البعد الإصلاحي في المجال الاجتماعي

المطلب الأول: قضايا المرأة .

المطلب الثاني: قضايا الزواج .

المطلب الثالث : قضية الفقر ومشكلاته الاجتماعية .

المبحث الثالث: البعد الإصلاحي في المجال السياسي:

المطلب الأول: القضايا المصرية الداخلية .

المطلب الثاني: قضية فلسطين والنصرة العربية الإسلامية .

المطلب الثالث: مقاومة الاحتلال ورفض الهيمنة .

الفصل الأول: تجليات البعد الإصلاحي في أدب الرافعي من خلال كتاب "وحي القلم"

المبحث الأول: البعد الإصلاحي في المجال الديني

نعني بالخطاب الإصلاحي في المجال الديني محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أثير حولها من شبه هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولة إرشاد ونصح المسلمين وتنبيههم بضرورة التمسك بدينهم لأنه السبيل الوحيد للنجاة والصلاح. والإصلاح لا يكون إلا بإتباع كتاب الله وسنة نبيه، لأنه تشريع إلهي محكم حمل كل خير للبشرية، وقد أدرك الرافعي هذه الحقيقة وكان"**يرى أنه لن يعم السلام في العالم إلا إذا عم الإسلام، بأخلاقه فشمل العالم، وكان يكرر أن العودة إلى الإسلام وأخلاقه وقيمه من ضرورات الأخذ بأسباب النهضة**"[1]، وسنستعرض لأهم العناصر من خلال النقاط الآتية:

المطلب الأول: الدفاع عن إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية.

أولا: الدفاع عن إعجاز القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، معجز بألفاظه متعبد بتلاوته، أنزله سبحانه عز وجل ليكون هاديا للأمة ومرشدا لها وحجة عليها، فهو نبراس الأمة ودستورها وقائدها إلى سبل الخير والفلاح، قال الله تعالى

« **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** "[2]، وقد أنزله الله تعالى على فترات "**منجما في ثلاث وعشرين سنة**" [3] حتى يسهل على الناس فهمه واستيعاب حكمه ومعانيه وتوجيهاته التربوية الرفيعة والأخلاقية العظيمة، وتوعد الله بحفظه وصونه ليبقى معجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

---

[1]: محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه،ج2، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 370

[2]: سورة الإسراء، الآية 82.

[3]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– العصر الإسلامي– ج2، ط7، دار المعارف، مصر، 1976، ص 25.

قال تعالى « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**» [1]، فكان من الواجب المحتم على كل مسلم أن يتعلمه و يعلمه ويتدبره ويعمل بما جاء فيه، لأن المتمسك به لا يضل ولا يشقى، والمعرض عنه في معيشة ضنك، ولقد أطال الرافعي النظر في الجانب البلاغي للقرآن الكريم، وأخذ يستشف من معانيه الجليلة ويتأمل في أسلوبه المعجز" **الذي هز النفوس والمشاعر، وملك القلوب والعقول، وكان له من السلطان ما جعل أعداءه يخافون منذ نزوله إلى اليوم بأسه وصولته، ويخشون تأثيره وعمله...**" [2].

وكان الرافعي ينظر لما حوله ويحس بالخطر الذي يتربص بالأمة الإسلامية التي شرفها الله، وأخذ يرد كيد المغرضين وضعفاء النفوس والعقول، ويدحض شبههم بالحجة الدامغة والبرهان الساطع إذ "**يعد الرافعي في زمانه حامل لواء الأصالة في الأدب، ورافع راية البلاغة فيه، ثم إن الرجل الذي وظف قلمه وبيانه في سبيل الدفاع عن القرآن ولغة القرآن، ولذا وجدنا الصراع يشتد بينه وبين أولئك الذين استراحوا للفكر الغربي وأقبلوا عليه حتى وإن كان حربا على أمتهم ودينهم ولغتهم**"[3].

ومن أمثلة دفاع الرافعي عن القرآن الكريم مقالة بعنوان " **كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة**" حيث أن الرافعي تلقى رسالة من أحد القراء يذكر له فيها أن أحدهم قد سولت له نفسه عقد موازنة بين آية من القرآن الكريم وكلمة من كلام العرب، وهذا دليل على أن الشيطان لعب بفكره وتمكن منه، ثم نجد في فحوى الرسالة التي بعث بها القارئ إلزام الرافعي بوجوب الرد على هؤلاء المنحرفين، وتبيان وجوه الإعجاز في الآية الكريمة حتى يفحم المتزندقين، ويفهموا سوء قولهم وظلال فعلهم، إذ يقول "**ففي عنقك أمانة المسلمين جميعًا لتكتبن في الرد على هذه الكلمة الكافرة لإظهار وجه الإعجاز في الآية الكريمة،**

---

[1]: سورة الحجر، الآية 9.

[2]: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه واعتنى به فواز أحمد زمرلي، ج2، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1995، ص 315.

[3]: خليل شتوح، الأديب الرافعي والميراث الخالد، موقع نسيم الشام، السعودية، ص 4.

وأين يكون موقع الكلمة الجاهلية منها؛ فإن هذه زندقة إن تركت تأخذ مأخذها في الناس..." [1].

فامتشق الرافعي قلمه وانبرى يرد كيدهم بالحجة الدامغة والبرهان الساطع، معددا أوجه الإعجاز في الآية الكريمة فأحصى ثلاثة عشر وجها من وجوه الإعجاز للآية الكريمة من قوله تعالى « **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تعقلون**»"[2].

وأخذ الرافعي يشرح الإعجاز اللفظي والإعجاز التركيبي في الآية الكريمة يقول الرافعي" **بدأ الآية بقوله (ولكم) وهذا قيد يجعل هذه الآية خاصة بالإنسانية المؤمنة التي تطلب كما لها في الإيمان ولتلمس في كمالها نظام النفس، وتقرر نظام النفس بنظام الحياة، فإذا لم يكن هذا متحققا في الناس فلا حياة في القصاص...**" [3]، ويواصل الرافعي استنباط الأحكام ومعددا أوجه الإعجاز في الآية الكريمة، ومظهرا من جهة أخرى إعجاز الألفاظ وكيفية تركيبهم في الجملة القرآنية، ليتضح إعجاز وبلاغة الخطاب القرآني، الذي "**لا يقف قي روعته عند الحدود التي يقف عندها الكلام المألوف من حيث رونق اللفظ وجمال التعبير فحسب، بل هو ذوق أدبي بلغ النهاية في الرفعة والسمو، وتعبير فريد بلغ النهاية في التنسيق والحسن والجمال**"[4] ثم يوضح الرافعي حكمة قوله تعالى" **في القصاص**" ولم يقل في القتل كما تقول الكلمة العربية "**القتل أنفي للقتل**" يشرح الرافعي ذلك ويظهر وجه الإعجاز قائلا "**قال 'في القصاص' ولم يقل في القتل فقيده بهذه الصيغة التي تدل على أنه جزاء ومؤاخذة، فلا يمكن أن يكون منه المبادأة والعدوان ولا يكون منه ما يخرج عن قدر المجازاة قل أو كثر**"[5].

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 287.

[2]: سورة البقرة، الآية 179.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج س، ص 288.

[4]: لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، سنة 2014، ص169.

[5]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق،ج س، ص 288.

وبعد أن يسرد الرافعي وجوه الإعجاز في الآية الكريمة، ويظهر بلاغة الخطاب القرآني وروعة البيان فيه، يختم مقالته بقوله " **وبعد فإذا كان في الآية الكريمة على ما رأيت ثلاثة عشر وجها من وجوه البيان المعجز، فمعنى ذلك من ناحية أخرى أنها أسقطت الكلمة العربية ثلاث عشر مرة**"[1].

وبهذا يتضح أن دفاع الرافعي عن القرآن هو دليل على شخصيته المؤمنة، وحسه الإصلاحي في دحض الشبهات، فالقرآن كله إعجاز في إعجاز، وهو يدافع عن نفسه بنفسه، وقد أخذ العلماء والفقهاء والأدباء يتدارسون القرآن الكريم ويبحثون في أسراره وإعجازه، فلم يستطيعوا أن يكتشفوا كل أسراره ومبانيه، أو أن يطلعوا على كل أساليبه ومعانيه، وبقي كل منهم يجيد في تخصصه ما شاء الله أن يجيد، وعلموا يقينا أنه لا يفهم بعض معاني القرآن ويطلع على أسراره إلا من" **قوي نظره، واتسع مجاله في الفكر وتدبره، وامتد باعه ورقت طباعه، وامتد في فنون الأدب، وأحاط بلغة العرب**"[2]، وما رمى أعداء الدين القرآن بالشبهات إلا دليل على تحجر عقولهم وتمكن الشيطان منهم، قال تعالى «**شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**»"[3]،
وقال أيضا « **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** »[4] .

وقد تحدى الله عز وجل البشرية وهي في أوج بلاغتها على أن يأتوا بمثل أصغر سورة من القرآن وهي سورة الكوثر وآياتها ثلاثة، فلم يستطيعوا وأقروا بعجزهم

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق،ج 3، ص 290.

[2]: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي ،دط، دار الحديث، سنة2006، ص16،17.

[3]: سورة الأنعام، الآية 112.

[4]: سورة الأنعام ، الآية 121.

قال تعالى«قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا». [1]

ثانيا: الدفاع عن البلاغة النبوية:

النبي محمد صلى الله عليه وسلم مؤيد بتوفيق الله عز وجل وتمكينه، وتجلى ذلك في شخصه صلى الله عليه وسلم وفي كل أفعاله وأقواله، وقد بلغت البلاغة النبوية عنده صلى الله عليه وسلم حد الذروة من البيان البشري والبلاغة الإنسانية عند بني البشر، ويذكر النبي عليه الصلاة والسلام فضل الله عليه فيقول « **بعثت بجوامع الكلم** »[2]

ولاتصل بطبيعة الحال إلى درجة البيان القرآني الذي بلغ حد الإعجاز، وبهذا فإن بلاغة النبي الأكرم محمد عليه الصلاة والسلام " **تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء...وإن شئت قلت بلاغة المرسلين**"[3]، والأنبياء المرسلين مؤيدين بنصر الله وعنايته، فكلامه صلى الله عليه وسلم كله هداية ونصح وإرشاد للناس كافة، فهو الخبير بشرع الله عز وجل، **قال تعالى« الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً »**[4].

وقد كتب الرافعي الكثير من المقالات عن السيرة النبوية وبلاغة الحديث الشريف نذكر: "الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام"، "حقيقة المسلم"، "وحي الهجرة" "درس من النبوة"، وكان الرافعي يقف سدا منيعا ضد من يحاول تشويه تاريخ الإسلام " **وبينما كان "جرجي زيدان" يحاول تشويه تاريخ الإسلام من خلال سلسلته المعروف" روايات تاريخ الإسلام" القائمة على التدليس وتحريف الوقائع، وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيرا اقتصاديا ودنيويا، بعيدا عن الغايات الإيمانية، كان الرافعي من خلال ما أورده في كتابه (وحي القلم) بخاصة**

---

[1]: سورة الإسراء، الآية 188.

[2]: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري،ج6، دط، مطبعة اليمامة، دار بن كثير، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ص2654 ، وفي كتاب مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، حديث رقم 2001.

[3]: عدنان محمد زرزور، سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد، ص 237.

[4]: سورة الفرقان، الآية59.

يعيد الأمور إلى نصابها، ويكشف الأعماق الإيمانية في حركة المسلمين في التاريخ، وكيف أنها كانت الدافع الأساس، والهدف الأسمى، وأن ما أفاء الله به على المسلمين إنما كانت نتيجة لا سببا، وثمرة لا جذرا، ومنحة ربانية للذين خلصت نياتهم، وقدموا أعمالهم خالصة لوجهه تعالى"[1].

واهتم الرافعي بالدلالات الفكرية والجمالية للحديث النبوي الشريف، وأخذ يستشف من معانيه الجليلة، ويحاول ربطه بالواقع المعاش، حتى يبين لهم أن الإصلاح لا يكون إلا بكتاب الله وسنة نبيه، وقد حلل مجموعة من النصوص منها قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السفينة: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها و بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالو: لوأنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا**» [2].

وأخذ الرافعي يشرح الحديث الشريف ويطيل النظر فيه، وهو يحمل إحساس المصلح لواقعه حتى يتعظ الناس ويرشدوا يقول الرافعي: "**فكان لهذا الحديث في نفسي كلام طويل عن هؤلاء الذين يخوضون معنا البحر و يسمون أنفسهم بالمجددين، وينتحلون ضروبا من الأوصاف: كحرية الفكر، والغيرة، والإصلاح، ولا يزال أحدهم ينقر موضعه من سفينة ديننا وأخلاقنا وآدابنا بفأسه، أي بقلمه... زاعما أنه موضعه من الحياة الاجتماعية يصنع فيها ما يشاء ويتولاه كيف أراد، موجها لحماقته وجوها من المعاذير والحجج، من**

---

[1]: عبد الحليم عويس، أسلوب الرافعي الأدبي في تناول التاريخ الإسلامي، موقع http://www.aljamaa.net/ar/document/4948.shtml ، تاريخ النشر الخميس18يناير/كانون الثاني2007.

[2]: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج2، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه برقم 2361.

المدنية والفلسفة، جاهلا أن القانون في السفينة إنما هو قانون العاقبة دون غيرها..." [1].

والرافعي يستشف من معاني القرآن والحديث النبوي، ويعبر عن الدلالات الجمالية فيهما إذ نجده يقول في هذا الصدد متحدثا عن الحديث النبوي الشريف "**كنت أتأمله قطعا من البيان فأراه ينقلني إلى مثل الحالة التي أتأمل فيها روضة تتنفس على القلب، أو منظرا يميز جماله أو عاطفة تزيد بها الحياة في الدم على هدوء وروح وإحساس ولذة...**" [2]، وكيف لا يحس المسلم بالراحة في قراءة الحديث الشريف وكيف لا يصلح أمره بإتباع ما جاء به، وهو كلام سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بنصر الله تعالى، والمسدد بتوفيقه" **أما فصاحة محمد صلى الله عليه فقد تكاملت له في كلامه، وفي هيئة نطقه بكلامه، وفي موضوع كلامه**"[3]. ويبدو دفاع الرافعي عن الحديث الشريف وبلاغته ذلك أنه رأى تيارا معاديا يسعى إلى تضليل المسلمين وإبعادهم عن دينهم ومصدر عزتهم فكان الرافعي"**يمضي في الحديث عن النبي وكيفية مجيئه وضرورة وجوده من أجل نقاء الحياة**"[4].

وقد تحدث الرافعي مرات عدة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وأخلاقه وسيرته العطرة فنجده مقالة بعنوان "**حقيقة المسلم**"، يتحدث عن هجرته صلى الله عليه وسلم وما كان فيها من أحداث وعبر، كما نجد كلاما جميلا راقيا حين يتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج يقول الرافعي "**قصة الإسراء والمعراج هي من خصائص نبينا محمد**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3،ص4،5.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج ن، ص4.

[3]: عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، د ط، المكتبة العصرية، بيروت، دس، ص 21.

[4]: مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، ط3، الدار المصرية اللبنانية، سنة 1999، ص 115.

صلى الله عليه وسلم، هذا النجم الإنساني العظيم، وهو النور المتجسد لهداية العالم في حيرة ظلماته النفسية..." [1].

ولقد كان دفاع الرافعي عن السيرة النبوية العطرة والبلاغة النبوية المشرفة جليا واضحا في أدبه، وحاول توظيف معرفته الفكرية والأدبية للحديث عن هذه المعاني النبوية التي تشع بالحكمة من أجل أن يذكّر المسلمين بأن لهم كل معاني القوة والسيادة، ويُظهر من جهة أخرى بلاغة الحديث النبوي الشريف، وفي هذا نجد قول يونس بن حبيب "**ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**"[2]. وما حديث الرافعي عن الحديث الشريف إلا دليل على توجهه الديني وحسه الإصلاحي المتمثل في تذكير المسلمين بضرورة التمسك بدينهم.

المطلب الثاني: الدفاع عن شعائر الدين الإسلامي وعلماء الإسلام.

أولا: الدفاع عن شعائر الدين الإسلامي

للرافعي حديث طويل عن شعائر ديننا الحنيف حديث جميل، وأي فخر وعز يحظى به أدب الأديب إن جعل من قيم ديننا الإسلامي منهجا يعتمده وطريقا يسلكه، والرافعي لا يتكلم عن شعائر الدين الإسلامي من باب الأحكام والضوابط الشرعية، فلهذا الحديث أهله ومتخصصون يجيدونه ولهم العديد من المؤلفات تعد منارا يهتدي به المسلم لمعرفة أحكام دينه، وإنما يتحدث عن هذه الشعائر من جانب آخر نلتمس فيه روح الأديب المسلم، إذ حظي الرافعي باطلاع واسع في كتب الفقه والحديث وهذا ما ذهب إليه الدكتور البيومي بقوله" **أما الأستاذ مصطفى صادق الرافعي فقد درس كتب الفقه من مصادرها المعتمدة وجعل من بعض أبوابها مادة لحديثه الديني، فارتقى بهذه الفصول إلى مستوى الأدب العالمي الرفيع، وأخذ القارئ ينبهر بها حين يجده يتحدث عن الصلاة على غير ما يعهد،**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي،المصدر السابق،ج2، ص 20.

[2]: أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج 2، ط7، مطبعة المدني، سنة 1998 ص18.

وقد ظن أن مثل الحديث عن الصلاة والأذان والصوم وخطبة الجمعة سيكون مكررا معادا لاشيء من ورائه فجاء وحي القلم بالرائع الممتاز حين تحدث عن هذه الشعائر"[1]، وقد كانت للرافعي وقفات تأمل في معنى الصلاة وفلسفة الصوم وصوت المؤذن وله أحاديث عن المسجد وخطبة الجمعة، هذه الشعائر هي طهارة لنفس المؤمن وتربية لها، فما يكاد يغفل المسلم إلا ويسمع صوت المؤذن يذكره بالصلاة وبحق الله على العباد **قال تعالى**« **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**»[2]، ومن هنا وجب على المسلم أن يراجع نفسه ويصححها ويتفكر في قيمة الشعائر وفضلها في دنياه وأخراه، فلو تأمل في معنى كلمة واحدة من المؤذن حين ينادي "الله أكبر" أو حين يرددها المصلي عشرات المرات في صلاته لوجد المعنى العظيم، ولأحس بالخشية تغمر وجدانه، وقد كان للرافعي وقفات جليلة مع هذه الكلمة العظيمة في أكثر من موضوع، فنجده في مقالة بعنوان "**الله أكبر**" يحدثنا في مطلعها على قصة فتاة أغواها أحد الشباب للخروج معه ولكنها عندما سمعت الأذان تأثرت به وانفعلت، يقول الرافعي:" **الله أكبر! صوتٌ رهيبٌ ليس من لغة صاحبها، ولا من صوته ولا من خسَّتِه، كأنما تُفرغُ السماءُ فيه مِلءَ سحابةٍ على رجسِ قلبها؛ فتُنْقيه حتى ليس به ذرَّةٌ من دَنَسِه الذي ركِبَه الساعة**" [3]، وينسج الرافعي خيوط المقالة في ذهنه ثم يحاول أن يخرجها في ثوب زاهي يجذب المتلقي ويأسر فكره، إذ أنه " **لم يكن يعتبر المقالة وقد انتظمت في خاطره معنى وفكرة، مقالة تستحق أن تكتب وتنشر إلا أن يهيأ لها الثوب الأنيق الذي تظهر به لقرائها، وهذه هي المرحلة الأخيرة**"[4]، وبعد حديث الرافعي عن الأذان يتحدث عن المسجد والصلاة وهو يسمع تكبيرات المصلي تصدح في أرجائه، وسنتطرق لحديث المسجد في مقالة أخرى، إذ له في هذا الباب الكثير من الكتابات

---

[1]:محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص143،144.

[2]: سورة الذاريات، الآية 56.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص 232.

[4]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص222.

الشيقة الممتعة تشع وتتدفق أدبا راقيا عبر قلمه، يقول في قصة "**الأيدي المتوضئة**" يتحدث عن صلاة الجمعة حين يجتمع الناس في المسجد للصلاة يقول "**ذهبت إلى المسجد لصلاة الجمعة والمسجد يجمع الناس بقلوبهم ليخرج كل إنسان من دنيا ذاته، فلا يفكر أحد أنه أسمى من أحد...وأيقنتَ من ذات نفسك أن لست هناك من دنياك، وليس صاحبك في دنياه، وإنما أنتما هناك في إنسانية ميزانها بيد الله وحده، فلا تدري أيكما الذي يخف وأيكما الذي يثقُل**"[1]، ويستعمل الرافعي أسلوبا بارعا في الوصف يعتمد على خياله الخصب وقدرته على انتقاء الألفاظ وفصاحتها، لأن"**الفصاحة هي الظهور والبيان**" [2]،ونجد كلاما جميلا عن الصلاة في مقالة بعنوان "**حقيقة المسلم**" يذكر فيها الرافعي أركان الصلاة ومتتبعا خطواتها، ليس بحديث فرائض أوسنن، وإنما هو حديث عن معنى الصلاة، وكيف أنها صلة بين العبد وربه، يُفرغ من خلالها العبد حمله وينسى بها متاعب الدنيا، فيكون في الصلاة في عالم غير العالم الدنيوي، عالم تذوب فيه الصعاب ويكشف ما في النفس من ظلام، لترتقي وتسموا عن حوائج الدنيا وفسافسها، فيتحدث الرافعي عن ذلك متبعا خطوات الصلاة بدءا من ذهاب المسلم إلى الصلاة واستحضار النية إلى غاية الفراغ من الصلاة، وهو كلام طويل ذو معان جليلة يصعب اختصاره لأن ذلك سيخل به، وسنمثل بحديث الرافعي عن الصلاة من خلال قصة من قصصه وهي "**قصة اليمامة**" والرافعي من خلال قصصه يعالج التاريخ الإسلامي بطريقة خاصة، حيث يعرض أفكاره بسلاسة ووضوح وبأسلوب قوي أنيق ليصل إلى هدفه الأسمى من قصصه وهو العظة والحكمة، أملا في أن يصلح المسلم أمره ويتأسى بالصالحين من السلف، ومن هنا نجد أسلوب الرافعي في القصة يختلف عن أسلوب القصاصين " **فالقصة عنده لا تعدوا أن تكون مقالة من مقالاته في أسلوب جديد، فهو لا يفكر في الحادثة أول ما يفكر، ولكن**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص166.

[2]: أبو العباس أحمد علي القلقشندي، صبح الأعشى، ج 2، المطبعة الأميرية، القاهرة ، 1913، ص190.

في الحكمة والمغزى والحديث والمذهب الأدبي ثم تأتي الحادثة من بعد"[1]، فقصة "**اليمامة**" في الأصل هي حكاية من الفتوحات الإسلامية استقى الرافعي مادتها من تاريخ الواقدي، وعبر عنها بأسلوب أدبي رفيع، ويضرب لنا مثالا آخر عن معنى الصلاة ودلالة "الله أكبر" ومن بين شخصيات القصة امرأة من الروم تدعى "مارية" لا تعرف شيئا عن حقيقة الإسلام ولا تفقه معانيه، فسألت مرافقها "الراهب شطا" حين شاهدت بعض المسلمين يصلون فقال لها "**إن هذه كلمة يدخلون بها في صلاتهم، كأنما يخاطبون بها الزمن أنهم الساعة في وقت ليس منه ولا من دنياهم، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدي من هو أكبر من الوجود فإذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت، فذلك هو دخولهم في الصلاة كأنهم يمحون الدنيا من النفس ساعة أو نصف ساعة أو بعض ساعة، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها...**"[2]، ومن حيث تتبعت حديث الرافعي عن الدين الإسلامي، هذا الدين المضيء بأنواره الثابت بأصوله السامي بأخلاقه المحفوظ بحفظ الخالق سبحانه رأيت سمو الأفكار وجمال الأسلوب، والإبداع في أحسن بيان، والجمال أشكال وألوان، يخبرنا الرافعي عن شريعة أخرى من شرع الرحمان هي فريضة "الصوم"، والمسلم يعرف الأثر الطيب الذي يتركه في النفس، والدور الذي يضطلع به في تربيتها فهو"**هو مستشفى زماني تعالج فيه النفوس من النقائص التي تراكمت عليها في جميع الشهور من السنة...هذه الأشفية كلها لا تنفع إلا بالقصد والاعتدال**"[3]، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة العديد من الفوائد الجسمانية والنفسية للصوم، وأصل "**كل علم من العلوم منتزع من القرآن، وإلا فليس له برهان**"[4]،وقد أخبر النبي صلى الله

---

[1]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص253.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص17،18.

[3]: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج4،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، سنة1997 ص 290.

[4]: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص18.

عليه وسلم في الكثير من الأحاديث عن فريضة الصوم وأثره في زكاة نفس المسلم فهو صلى الله عليه وسلم الخبير بشرع الله تعالى المؤيد بوحيه، **قال تعالى « وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »**[1].

وللرافعي حديث شيق عن حكمة الصوم وأثره في أخلاق المسلم وزكاة نفسه، في مقال بعنوان "**فلسفة الصوم شهر للثورة**" أبان فيه الرافعي عن نظرة ثاقبة وعين بصيرة، حيث استنبط العديد من الحكم وعدّد الكثير من الفضائل من شريعة الصوم، لا تسمح طبيعة البحث لسردها، وقال بأن الأطباء قد أوفوا في مجالهم لتحدثهم عن أثر الصوم في جسم الإنسان وكأنه عبارة عن دواء بثلاثين حبة يُأخذ كل سنة لتقوية المعدة أو خياطة أنسجة الجسم وغيرها من المنافع الجسمانية، في حين أغفل العديد معانيه الجليلة الدينية والأخلاقية والإنسانية العظيمة، حتى أن الرافعي وصل به الاجتهاد إلى استنتاج علاقة بين دورة الدم في الجسم الإنساني خلال شهر رمضان وعلاقته بالقمر، ومن بين ما قال الرافعي عن الصيام "**أما والله لو عمَّ هذا الصوم الإسلامي أهل الأرض جميعاً،لآلَ معناه أن يكون إجماعاً من الإنسانية كلِّها على إعلان الثورة شهراً كاملاً في السنة، لتطهير العالم من رذائله وفساده، ومحق الأثرة والبخل فيه، وطرح المسألة النفسية؛ ليتدارسها أهل الأرض دراسة علميةً مدةَ هذا الشهر بطوله؛ فيهبط كلُّ رجل، وكلُّ امرأة إلى أعماق نفسه ومكامنها؛ ليختبر في مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر، وليفهم في طبيعة جسمه لا في الكتب معاني الصبر والثبات والإرادة، وليبلغ من ذلك وذلك درجات الإنسانية والمواساة والإحسان؛ فيحقق بهذه وتلك معاني الإخاء، والحرية، والمساواة.**" [2]

تحدث الرافعي عن بعض شعائر ديننا الحنيف فأبدع وأجاد مظهرا بذلك بعدا إصلاحيا متمثلا في دحض الشبهات وإظهار الحقائق التي تجاهلها الناس، نتيجة انشغالهم بأمور الدنيا ولو كان ذلك على حساب الدين.

---

[1]: سورة النجم، الآية 3-4.

[2]:مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص 45.

ثانيا: الدفاع عن علماء الإسلام

دافع الرافعي عن علماء الإسلام ووقف سدًا منيعا ضد من سولت له نفسه التحدث بسوء عن علماء الإسلام أو عن التاريخ الإسلامي، فقد" **نظر الرافعي فوجد أن تاريخ الإسلام في عصور الإسلام لم يكتب على وجهه الصحيح، حين ظل مهملا في كتب الطبقات دون أن يرجع إليه باحث ما فيظهر ما كان لهؤلاء الأعلام من سطوات جبارة في وجه الباطل**"[1]، فكتب الرافعي العديد من القصص التي تشير إلى جوانب مضيئة من حياة علماء أفذاذ وأئمة أجلاء عرفوا الله وأخلصوا في دينهم فازدانت الإنسانية بهم وبقيت سيرتهم مثالا للأخلاق وينبوعا صافيا من الحكمة، لأنهم تعلموا من مدرسة عظيم الإنسانية وخير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، فكتب الرافعي عن: الحسن البصري ،سعيد بن المسيب، مالك بن دينار، أحمد بن حنبل...وغيرهم من أئمة الإسلام والفقهاء الأجلاء.

والرافعي إذ يكتب عن علماء الإسلام فهو بصدد الدفاع عنهم وتبيان قدرهم ومكانتهم حتى يتعظ الناس لما يصفه من حكم ومواعظ طبعت شخصيتهم، والرافعي بارع متميز ذو أسلوب راق وقدرة فذة في مجال التصوير التاريخي وهذا ما ذهب إليه البيومي بقوله :"**وقلم الرافعي في مضمار التصوير التاريخي لا يلحقه مصور مهما افتن في صنعته**" [2]، فهو يفرغ فكرته في قالب إبداعي جميل يؤثر على المتلقي ويجعله يرغب لسماع المزيد، ففي قصة "سعيد بن المسيب" والتي هي بعنوان "**قصة زواج وفلسفة المهر**" يبين لنا زهد هذا العالم ورفعة أخلاقه، ويخبرنا عن قصة رسول الخليفة الأموي الذي جاء ليخطب ابنة سعيد لابن الخليفة، فرفض سعيد ذلك وعجّل بتزويج ابنته لطالب علم فقير، رأى بأنه الأجدر والأصلح لها لما يتوافر عليه من أخلاق حميدة وطباع فاضلة، وقد استغرب الناس من صنيع "سعيد بن المسيب" ولكنه رد عليهم بكلام طيب، يشرح الرافعي موقف "ابن المسيب" وكيف أنه ينظر إلى الأخلاق ولا يهمه المال أو الجاه قل ذلك عند المرء أو كثر، نقرأ في

[1]: محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص 157.

[2]: محمد رجب البيومي، المرجع نفسه، ص 158.

هذا الصدد "**ولن يتفاوت الناس بالمال تختلف درجاتهم به وتكون مراتبهم على مقداره، تكثر به مرة وتقل مرة – إلا إذا فسد الزمان، وبطلت قضية العقل، وتعطل موجب الشرع، وأصبحت السجايا تتحول...والحجران: الذهب والفضة – قد يكون في هذه الدنيا أضوأ من شمسها وقمرها، ولكنها في نور النفس المؤمنة كحصاتين يأخُذها الرجل من تحت قدميه، ويذهب يزعم لك أنهما في قدر الشمس والقمر.**" [1]

وقد انبهر القراء واندهشوا لجمال الوصف وبراعة التحليل ودقة العبارة عند الرافعي واضعا كل ذلك في قالب بديع، فتسموا النفس وتبتهج لما تجده من أثر بليغ يجعل القارئ يتفكر في حال أولئك الأعلام من السلف الصالح، الذين باعوا الدنيا الفانية في سبيل الفوز بالآخرة الباقية، وإن كانت هذه القصص ومثيلاتها موجودة في كتب التاريخ والسير إلا أن الرافعي عرضها عرضا أدبيا بديعا، انبهر له الأدباء قبل القراء، وفي هذا يقول الأستاذ علي الطنطاوي:"**أعرني –يا سيدي– هذا القلم السحري الذي تكتب به،لأصف لك الشعور الذي خامرني وإخواني حين قرأنا فصلك الأخير'قصة زواج' فما أدري والله كيف أصفه لك**"[2] .

فكانت كتابات الرافعي عن علماء الإسلام في سبيل الدفاع عنهم، وذلك بتسليط الضوء على جوانب من حياتهم فيذكر بعض مناقبهم وخصالهم ويتفنن في ذلك بإبداعه الفريد ويكتب بقلمه المميز أفانين من الأدب الخالص يزداد به القارئ فضيلة، ويستشف منه عبرا، حتى غدى الرافعي رائدا للقصة الإسلامية، يقول البيومي "**فالرافعي إذن رائد القصة الإسلامية بما أبدع من آثار نبّهت الأذهان إلى جلال العلم وسطوة العلماء...**"[3]

---

[1]:مصطفى صادق الرافعي ،المصدر السابق، ج1، ص87،88.

[2]:علي الطنطاوي،فصول في الثقافة والأدب،جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية، ط1،دار المنارة،2007،ص241.

[3]:محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص159.

ونكتف بذكر هذا الأنموذج من قصص الرافعي، فهو يعطي صورة حية عن بعض الشخصيات الإسلامية التي عرف عنها الصلاح، وهذا ينم عن الحس الإصلاحي عند الرافعي، ورغبته في تصحيح الأوضاع لما تحمله كتاباته من حكم وعظات.

المطلب الثاني: الدفاع عن اللغة العربية

أحس الرافعي بالخطر الداهم على اللغة العربية ذات المكانة العالية في نفوس المسلمين ليس بوصفها لغة فحسب، بل باعتبارها لغة القرآن الكريم، قال تعالى « **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** »[1]. وعلم الرافعي خطط الاستعمار الغاشم في النيل من هوية المسلمين، كما أدرك أن الاستعمار لن يتوانى لحظة في نشر مكائده ونفث سمومه، سعيا منه لإبعاد المسلمين عن معين دينهم وشرف لغتهم، يساعده في ذلك بعض المغرضين ودعاة العامية، فاللغة العربية هي وسيلة لفهم كتاب الله وسنة نبي صلى الله عليه وسلم وهي وسيلة لتوحيد المسلمين.

وقد حاول الاستدمار تقسيم الوطن العربي وإبعاد المسلمين عن أصالتهم وحقوقهم الإسلامية العربية، وسعى بشتى السبل ومختلف الأساليب لنشر لغته في البلدان الواقعة تحت سيطرته، حتى وصل به الأمر إلى أن "**ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف في مصر من الانجليز وهو القاضي ولمور كتاب أسماه لغة القاهرة ووضع لها فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية**" [2]، والأدهى والأمر أن لا يكون هذا العداء للغة العربية من الاستعمار لوحده، بل هناك بعض الكتاب

استأجرهم المستعمر لترويج فكره وتحقيق غايته، رفعوا أصواتهم منادين بفرض اللغة العامية على الكتابة المصرية، فقد كتب أحدهم في "مجلة الهلال" مقالا يدافع فيه عن اللغة العامية واللهجات السوقية يقول فيه أنه :" **يشتغل بضبط أحوالها وتقييد شواردها، لاستخدامها في كتابة العلوم، و يؤكد في مقاله أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أهم**

[1]: سورة يوسف، الآية رقم02.

[2]: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج2، ط2، مكتبة الآداب،19680، ص 342.

أسباب تخلفنا الثقافي...وزعم أنه من الممكن اتخاذ أي لهجة عامية للكتابة كالمصرية أو الشامية وأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربية على اختلاف لهجاتهم من العربية الفصيحة"[1]، هكذا كان دعاة العامية يكيدون اللغة العربية الفصحى، ولو كان يملك هذا الدعي جزءا يسيرا من النباهة لطالب بالعكس أي أن تكون اللغة العربية الفصحى هي لغة الحديث كما هي لغة الكتابة، حتى نكون جنودا في سبيل الحفاظ على لغتنا الأصلية التي يكفيها عزا وشرفا أنها لغة القرآن الكريم، وبالمقابل ظهر العديد من الكتاب والأدباء الذين وقفوا سدا منيعا وحصنا حصينا في وجه أعداء اللغة، وسعوا بذلك لإصلاح اللغة والمحافظة عليها، و"**يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء سعي وراء الغلب والسيطرة**"[2].

وكان مصطفى صادق الرافعي من أبرز المدافعين عن اللغة وسعى إلى الإصلاح اللغوي وأبدى موقفا حازما من دعاة العامية، وحذر من أعدائها واعتبرهم خدما للاستعمار، كما أظهر الرافعي تمكنه من اللغة وإحاطته بأساليبها، واتخذ الرافعي لذلك منهجا يدافع فيه عن اللغة العربية وينبذ الرطانة الأجنبية وتفشي العامية، وكتب عدة مقالات في ذلك نذكر مقال له بعنوان "**اللسان المرقع**" يتحدث فيه الرافعي عن أولئك الذين يذهبون إلى أوربا فيعودون وقد لووا ألسنتهم، يقول الرافعي" **وكان حضرة صاحب السعادة يكلّم الباشا بالعربية التي تلعنها العربية، مرتفعا بها عن لغة الفصيح ارتفاعا منحطّا... نازلا بها عن لغة السوقة نزولا عاليا... فكان يرتضخ لكنة أعجمية، بينا هي في بعض الألفاظ جرس عال يطن، إذا هي في لفظ آخر صوت مريض يئن، إذا هي في كلمة ثالثة نغم موسيقى يرن. ورأيته يتكلف نسيان بعض الجمل العربية ليلوي لسانه بغيرها من الفرنسية، لا تطرفا ولا تملحا ولا إظهارًا لقدرة أو علم، ولكن استجابة للشعور الأجنبي الخفي المتمكن في**

---

[1]: محمد محمد حسين، المرجع السابق، ص344،345.

[2]:علي عبد الواحد وافي، مقال بعنوان صراع اللغات، مجلة الرسالة ، العدد 347، السنة الثامنة،1359هـ/26 فبراير 1940، ص325.

نفسه. فكانت وطنية عقله تأبى إلا أن تكذب وطنية لسانه، وهو بإحداهما زائف على قومه، وبالأخرى زائف على غير قومه." [1].

وكأن الذين يتكلمون بغير لغتهم يريدون القول بأنهم يفتخرون بلغة الآخر، ويكفي أن يتمكنوا منها لتكون لغتهم من دون أن تزاحمها أخرى، وقد جهل هؤلاء حقيقة اللغة العربية، التي تعد أعرق اللغات وأجلّها شأنا وأوسعها قاموسا وأرفعها قدرا، وما البلاغة فيها إلا تعبير عن جمالها، والبيان نصيب من تألقها، وقد ذكر صاحب العمرية الأديب حافظ إبراهيم بعض صفات اللغة العربية، وعبر عن معاناتها في قصيدة بعنوان " اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها"، يقول في بعض القصيدة على لسان اللغة العربية:

وَسِعْتُ كِتـابَ اللهِ لَفظًا وَغَايَـةً وَمـَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بـهِ وَعِظَاتِ فَكَيْفَ

أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمـَاء لِمُخْتَرَعَاتِ

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِـهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِـي[2]

ويضيف الرافعي كلاما قويا فيه صلابة، يظهر فيه احتقاره للذين يؤثرون اللغة الأجنبية على لغتهم الأصلية، ويفتخرون بالتحدث بها مع أبناء جلدتهم، وهم بذلك يحسبون أنهم أعلى شأنا وما ذلك في الحقيقة إلا دليل على ضعف شخصيتهم وتبعيتهم لغيرهم، ويصنف الرافعي هؤلاء إلى أربع طبقات "**الأولى يصنعون هذا الصنيع منجذبين إلى أصل راسخ في طباعهم، مما تركه الظلم والحمق في زمن الحكم التركي؛ فهم يُبدون جوهر نفوسهم لأعينهم وأعين الناس، كأن اللغة الأجنبية فيما بينهم علامة السلطة واحتقار الشعب، وهم بها يتنبلون، والثانية: فإنهم يتكلفون هذا مما في نفوسهم من طباع أحدثها النفاق والخضوع والذل السياسي في عهد الاحتلال الإنجليزي، وهم بها يتمجدون. وأما الثالثة، فإنهم يتعمدون هذا عداوة للغة العربية وذلك من عداوتهم للدين الإسلامي، ومن هذه**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص204.

[2]: حافظ إبراهيم، الديوان، ج1، ط3، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1948، ص242،243.

الفئات الثلاثة نشأت فئة رابعة تحول عندهم اللغات الأجنبية في كتاباتاهم وأحاديثهم إلى طريقة نفسية ويحسبونه تطرفا وهو يظهر فساد طبعهم" [1]

ويظهر من خلال ما سبق أن الرافعي هاجم هؤلاء المتشدقين بلغة الأجنبي هجوما عنيفا، لأنه أحس بالخطر يحدق باللغة العربية من أبنائها العرب وما ذلك إلا أثر من آثار مستعمر غاشم لا دين له ولا هوية، كما ظهر العديد من الأشخاص الذين يتخذون من الأدب حرفة ليصلوا به إلى أغراض شخصية فزاد ذلك من محنة الأدب، ووجب البحث في الحلول، يذكر الأستاذ أبو الحسن البدوي ثلاث عوامل تساهم في تقصير أجل المحنة والتقليل من حدتها تمثلت في "**الأحوال الاجتماعية، وحركات الإصلاح والتجديد، والبعث الجديد** "[2]، ويتحدث الرافعي في مقالة أخرى عن اللغة العربية وعدّها من مقومات الاستقلال وصورة من صور وجود الأمة، وهذه هي حقيقتها فنهضة اللغة تعبير صارخ على استقلال المجتمع وتحرره من التبعية، وإذا بقيت لغة المستعمر قائمة فهذا يعني أن معنى الاستقلال لا يزال ناقصا ووجب الإصلاح، يقول الرافعي موضحا صورة اللغة في الأمة "**أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجودًا متميزًا قائمًا بخصائصه...**"[3].

وقد وضح الرافعي كيف أن وجود اللغة هو صورة من صور وجود الأمة، وكلما زادت الأمة اهتماما باللغة وتحريا في دقائقها كلما زاد التعبير عن حريتها وتخلّصها من القيود والأغلال التي تعيق حركتها، وفي هذا نقرِ ِأ له " **وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة، وكانت أمتها حريصة عليها، ناهضة بها متسعة فيها، مُكبرة شأنها، فما يأتي ذلك إلا من كون شعبها سيد أمره؛ ومحقق وجوده، ومستعمل قوته، والآخذ بحقه، فأمّا إذا كان منه التراخي والإهمال وترك اللغة للطبيعة السوق، وإصغار أمرها، وتهوين خطرها**

---

[1]:مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 2، ص205(بتصرف).

[2]: ينظر أبو الحسن علي الحسني البدوي، نظرات في الأدب، ط2، دار البشير، عمان،1990، ص 21.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص21.

وإيثار غيرها بالحب والإكبار؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم، تابع لامتبوع، ضعيف عن تكاليف السيادة لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه، مجتزئ ببعض حقه، مكتفٍ بضرورات العيش، يوضعُ لحكمه القانون الذي أكثرُه للحرمان وأقلَّه للفائدة التي هي كالحرمان"[1].

ومن كل ما سبق يتضح جليا حرص الرافعي وحمله لرسالة الإصلاح اللغوي؛ إذ أن الدفاع عن اللغة العربية هو جزء من الدفاع عن الدين، فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وليست لغة عادية، وما أكرمها إلا مكرم، ودافع الرافعي بلا هوادة عن لغتنا العربية وعن ديننا الإسلامي ولم يخش أحدا من الخلق، وهذا من بين الصفات العظيمة التي يتميز بها أدبه "**القوة في قول الحق**".

المطلب الثاني: البعد الإصلاحي في المجال الاجتماعي

نظر الرافعي في المجتمع فرأى العديد من مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي تغزوا المجتمع ليس المجتمع المصري فحسب، بل العديد من أقطار المجتمع الإسلامي، مع أن الدواء الشافي من كل الأدواء بين أيديهم – في كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم–، وسعى الرافعي سعيا دؤوبا في النصح والإرشاد لخير أمة أخرجت للناس **قال الله تعالى« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ»** [2]، وحمل الرافعي راية الإصلاح الاجتماعي خفاقة، ناصحا الأمة ومحذرا إياها من الدعوات المغرضة الهدامة التي تشكل معاول هدم وجب التصدي لها، يقول الدكتور خليل مشوح " **والرافعي –رحمه الله– مع ذلك كله كان له باعٌ طويل في ميدان الإصلاح الاجتماعي المنطلق من ثقافته الإسلامية التي ربطت بين السلوك الاجتماعي والأدب الديني متصدياً بذلك لمن يريد أن ينال من عاداتنا الإسلامية الأصلية، فله بذلك مقالاتٌ اجتماعية كثيرة تشير في ثناياها إلى أن الرافعي كان مصلحاً اجتماعياً فذاً**" [3] وقد ظهر

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدرالسابق، ج س، ص21،22.

[2]: سورة البقرة الآية رقم 110.

[3]: خليل مشوح، الأديب مصطفى صادق الرافعي و الميراث الخالد، ص 3.

البعد الإصلاحي عند الرافعي في المجال الاجتماعي من خلال العديد من المقالات والقصص التي تعالج مشاكل اجتماعية مطروحة في عصره، ومن أهم القضايا التي سنركز عليها في دراستنا: قضايا تخص المرأة وأخرى تتعلق بالزواج، كما سنتطرق لقضية الفقر، فصلاح المرأة من صلاح المجتمع كما أن الزواج هو السبب الرئيس لبناء الأسرة، أما قضية الفقر يمكن أن لا تكون مشكلة إذا تكاتف الناس وتراحموا فيما بينهم.

المطلب الأول: قضايا المرأة

أولا: حجاب المرأة المسلمة: نظر الرافعي في المجتمع فرأى العديد من الشعارات المزيفة والأفكار الهدامة، تسعى للنيل من المرأة ونزع فضيلتها ، فامتشق يراعه و" **كتب عن المرأة الملتزمة أجمل ما كتب أديب في العالم العربي لعهده، فقد تحدث عنها بأسلوبه البياني المؤثر، حديث المؤمن المصلح الذي يقدر ما يأخذ وما يدع من معاني البناء الأسري الوثيق**" [1]، فكتب عن حجاب المرأة المسلمة الذي فرضته عليها شريعتنا السمحة ليكون لها سترا يصون عفتها وعزا يعلي شأنها وشرفا يرفع مكانتها في المجتمع، قال تعالى يخاطب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**»[2]، فالحجاب في حقيقته ستر للمرأة المسلمة وعنوان طهرها، ولكن للأسف نجد حتى في مجتمعنا من يروج للانحراف ويدعوا للسفور، ويشجع على الاختلاط، تحت عنوان زائف "تحرير المرأة" وهو في الواقع "تخريب لحياة المرأة"، ألم يكن يعلم هؤلاء أن نزع حجاب المرأة هو كشف لسترها وتنجيس لطهرها، وشكل من أشكال البيع لعفتها، فنزع الحجاب عن المرأة هو سبيل من سبل الرذيلة ومعول هدم للمجتمع، لأن الغاية الأسمى من ارتداء الحجاب هو حفظ المرأة وتنزيهها عما يشينها، فتغدوا المرأة كالدرّة المصونة لا تصل إليها الأيادي، ولا تصيبها سهام الأعين، يتحدث الرافعي عن حقيقة حجاب المرأة في مقالة

[1]: محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص 176–177

[2]: سورة الأحزاب، الآية رقم 59.

بعنوان" **تربية لؤلئية**" قائلا "**وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة، وإغلاء سعرها في المجتمع وصونها من التبذل الممقوت... والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها في مدارج الطرق والأسواق...**" [1]، فالحجاب الشرعي للمرأة هو وصف لتربيتها قبل أن يصف عفتها، وحديث الرافعي في هذا المجال تؤيده الحجة الدامغة والبرهان الناصع،لأنه يتكلم عن أمور يوجبها الشرع، ويخبرنا بذلك صديقه سعيد العريان قائلا " **وقد جلست مرة إلى المربي الكبير الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف نداول الرأي في أدب الرافعي ومذهبه الاجتماعي لمناسبةٍ ما فيما كتب الرافعي للرسالة، فقال لي إنك لن تجد أحداً من أنصار الجديد يرضى هذا المذهب، ولكنك لن تجد أحداً – أيضاً – يستطيع أن يصاول الرافعي في هذا الميدان بمثل حجته وقوة إقناعه**"[2]، والرافعي لم يأبه لشنشنة المغرضين وثرثرة أدعياء الإغراء والتحلل الخلقي، الذين يريدون أن تضل المرأة وتشقى، وهم ينادون بنزع الحجاب وتقليد الأوربية في خلاعتها ومجونها ويذكر الرافعي بأن الحجاب ما هو إلا رمز لأخلاق المرأة وتربيتها نقرأ في هذا الصدد قوله :" **ليس الحجاب إلا كالرمز لما وراءه من أخلاقه ومعانيه وروحه الدينية المعبدية، وهو كالصدفة لا تحجب اللؤلؤة ولكن تربيها في الحجاب تربية لؤلؤية؛ فوراء الحجاب الشرعي الصحيح معاني التوازن والاستقرار والهدوء والاطراد... فلن تجد الأخلاق على أتمها وأحسنها وأقواها إلا في المرأة ذات الدين والصبر والمدافعة**"[3] وعن المرأة الملتزمة حديث يطول فقد تكلم عنها في" قصة زواج وفلسفة المهر"و" زوجة إمام" ....

ثانيا: المرأة في المجتمع ودعوات التحرر:

إن الدعوة إلى تحرير المرأة كما يزعمون هو إبعادها عن دينها ونزع فضيلتها وإخراجها من بيتها، وهذه الدعوة هي أثر من آثار الاتصال بالغرب ونتيجة من نتائج الاستعمار

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص 144.

[2]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص 243.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج 1، ص 145.

الأجنبي، وقد تلقى الكثير من الكتاب تعليمهم في أوربا، ثم عادوا إلى بلادهم لينشروا بعض مظاهر التفسخ الخلقي الذي شاهدوه في الخارج، وسعوا إلى أن يطبقوه على بلادهم الإسلامية دون أن يراعوا قيم الدين الإسلامي وفضائله ودعوته إلى الأخلاق الفاضلة، ولم يقف الرافعي موقف المتفرج عليهم، بل انبرى لهم بقلمه، وراح يرد مزاعمهم وافترائهم بالحجة الدامغة والبرهان الساطع، وقد كانت كلمات الرافعي تصدم أدعياء الفسوق والمجون والانحلال الخلقي، ما جعلهم يهاجمون الرافعي ويقولون بأنه عدو المرأة والتقدم" **ولم يكن الرجل عدو المرأة ولن يكون فالمرأة هي أمه وزوجته وأخته وبنته فكيف يكون عدوها؟... وهو لم يكتب عن المرأة غير ما يوجبه الإخلاص؟**"[1] وكتب الرافعي العديد من المواضيع عن سفور المرأة من جهة، ويظهر عفة المرأة الملتزمة وتربيتها من جهة أخرى، كما يبين خطر هذا التحرر فيقول " **وإطلاق الحرية للفتاة أطلق ثلاث حريات، حرية الفتاة، وحرية الحب، والأخرى حرية الزواج، ولما انطلق ثلاثتهن معا تغير ثلاثتهن جميعا إلى فساد واختلال**"[2] ويواصل الرافعي حديثه، حاملا معه إحساس المصلح، الذي يعرف أن الدواء الشافي هو في الرجوع إلى معين الدين والتمسك بشرع الله تعالى، فالدين الإسلامي أكرم المرأة وأعزها وأعلى من شأنها، وبيّن لها طريق العفة والشرف بتعاليمه العظيمة وأخلاقه الكريمة، فإن هي تمسكت بشرع الله وتعاليمه فازت ونجت، وهنا تتجلى أهمية "**انتشار الأدب الإسلامي المنطلق من مبادئ الدين الحنيف قرآنا وسنة مطهرة، المستضيء بسماحته وعدله، والساعي إلى تطهير الإنسان من أدران الفسق والإلحاد في شتى أنحاء الأرض ... وإلى تطهير الفنون والآداب ... لإنقاذ الإنسان وبالتالي المجتمعات، ليس في نطاق الأمة العربية فحسب بل على المستوى الإنساني العالمي** " [3] ونجد الرافعي في مسلسل "**الطائشة**" يتحدث عن فتاة انساقت وراء تلك الدعوات

---

[1]: محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص 176.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 1، ص 145.

[3]: أحمد محمود مبارك، رؤية إسلامية في الأدب والثقافة، دط، دار الوفاء، الإسكندرية، 1999، ص 71.

المغرضة التي تدعوا إلى تحرر المرأة فأصبحت بذلك متبجحة وقحة الكلام، سيئة التعامل، لا تعرف معنا للحياء، ولا طريق للعفة، هذه الفتاة الطائشة التي عرفت التحرر ولم تفهم معناه الحقيقي، فكانت نتائجه وخيمة وأخطاره جسيمة لأنه على حساب دينها وشرفها، وقد فاقت هذه الفتاة المتحررة قاسم أمين ودعوته للتحرر الذي ينم عن سوء فهمه للدين، يقول الرافعي "**وأما الفتاة فكانت في الأكثر للزواج، فعادت للزواج في الأقل وفي الأكثر للهو والغزل، وكان لها وقار الأم وحرمة الزوجة، فاجترأ عليها الشبان اجتراءهم على الخليعة والساقطة، وكانت مصقورة لا تُنال بعيب، ولا يتوجه عليها ذم، فمشت إلى عيوبها بقدميها، ومشت إليها العيوب بأقدام كثيرة...وكانت بجملتها امرأة واحدة، فعادت مما ترى وتعرف وتكابد كأن جسمها امرأة، وقلبها امرأة أخرى، وأعصابها امرأة ثالثة...**"[1]، كما نقرأ للرافعي في مقالة أخرى بعنوان "**لحوم البحر**" واصفا لبعض مظاهر الانحلال الخلقي التي شاهدها على شاطئ البحر بالإسكندرية يقول فيها" **لكأنما والله قد تمدد على سيف البحر في إسكندرية شيطان مارد من شياطين ما بين الرجل والمرأة، يخدع الناس عن جهنم تبريد معانيها** ..." [2]، كما يبعث الرافعي برسالة نصح وإرشاد إلى المرأة الشرقية، من خلال مقالة له بعنوان "**احذري**" وهو يطلب منها أن تتحلى بالحرص واليقظة وتلتزم الحذر، لأن المتربصين بها كثر، يسعون بذلك لانتزاع فضيلتها وكشف حيائهاوبيع عفتها فيقول "**احذري أيتها الشرقية، وبالغي في الحذر، واجعلي اخص طباعك الحذر وحده، احذري تمدن أوربا، أن يجعل فضيلتك ثوبا يوسع ويضيق، فلبس الفضيلة على ذلك هو لبسها وخلعها...**" [3]، ويكرر كلمة "احذري" مرات عدة وينهي بها مقاله كما ابتدأه بها، وهذا دليل على حرص الرافعي لنصح المرأة المسلمة.

ثالثا: المرأة والعلم:

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 1، ص 119.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 1، ص189.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج ن، ص194.

الإسلام يدعوا لطلب العلم ويحثّ عليه ويكرم أهله ويجلّهم، ولكن كل هذا في حدود الدين، فلا يجوز أبدا أن يكون تعلم المرأة على حساب دينها، ولا ينبغي أن يجرّها التعلم إلى أمور تنافي الشريعة الإسلامية السمحة كالاختلاط بالشباب والخلوة بهم، وغير ذلك من المنكرات، فخطر هذا معلوم لا يختلف فيه عاقلان، ومعنى هذا أن التعليم سيكون سببا من أسباب ضياعها وانحرافها، ومن هنا وجب على المرأة المسلمة، أن تحذر وتجعل من التعلم وسيلة لتفقهها في الدين وثباتها على الأخلاق، وكان من الواجب أن تكون للبنت مدرستها الخاصة و تعليمها المستقل بالخصائص التي تحفظ لها كرامتها وشرفها، والرافعي يظهر لنا بعض شروط تعلم المرأة بقوله "**العلم للمرأة لكن بشرط أن يكون الأب وهيبة الأب أمرا مقررا في العلم، والأخ وطاعة الأخ من حقائق العلم، والزوج وسيادة الزوج شيئا ثابتا في العلم، والاجتماع وزواجره الدينية والاجتماعية قضايا لا ينسخها العلم. بهذا وحده يكون النساء في كل أمة مصانع علمية للفضيلة والكمال والإنسانية، ويبدأ تاريخ الطفل بأسباب الرجولة التامة، لأنه يبدأ من المرأة التامة**"[1]، و لتكون المرأة أمّا كريمة فاضلة وزوجة صالحة.

المطلب الثاني: قضايا الزواج:

تحدث الرافعي عن موضوع الزواج مطولا، كونه رعاية للأخلاق وسبيل الحفاظ على النسل وركن أساس للبناء الأسري، وتطرق لموضوعات مختلفة، نوجزها كالآتي:

أولا: ظاهرة العزوبة في المجتمع: اتخذ الرافعي موقفا صارما من قضية العزوبة، وحذر من عواقبها، ويرى بأن الحكومة وجب أن تعمل عملها وتعالج هذه الظاهرة بقوة السلطان إن لزم الأمر نقرأ له قوله " **وكان على الحكومة أن تضرب العزوبة ضربة قانون صارم ...**" [2]، وقد تفاعل الرافعي مع الأحداث التي شهدها في حياته و "**كان ظاهرا في عصره**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج1، ص125.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه ،ج ن، ص 217.

مميزا بذاته العربية، وعقيدته الإسلامية، ودعوته المؤمنة وأدبه الذي جدد فيه شباب العربية"[1] ، فالرافعي يشجع على الزواج ويحث الشباب عليه، حتى أنه يطالب من الحكومات التدخل لمعالجة هذه المشكلة التي انتشرت بشكل كبير في الآونة الأخيرة.

ثانيا: الزواج وعلاقته بميراث المرأة: حين تكلم الرافعي عن حكمة ميراث البنت في الإسلام من **قوله تعالى** « **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** »[2]ربط الرافعي ذلك بالزواج، وذكر كلاما وافيا شافيا عن حكمة الإسلام في تقدير الأمور، فكتب ذلك في موضوع بعنوان "**المرأة والميراث**" أظهر من خلاله نبوغا عاليا واطلاعا واسعا وبصيرة ثاقبة، واستخرج الرافعي العديد من الحكم العظيمة للدين الإسلامي، وظهر كيف أن " **فضله وتدينه وتبحره في علوم القرآن وفروع اللغة قد صقلت موهبته ونمت شخصيته بالقدر الذي جعلت منه عميدا لكتاب المقالة الإسلامية والفكرة الدينية، ومحامي الحضارة الإسلامية وأساليب البيان العربية**"[3]، ويقدم الرافعي في معرض حديثه الأدلة والبراهين ويفحم أعداء الدين الذين يسعون لرمي الشبهات فيه، وأخذ يرميهم بالحجة الدامغة والبرهان الساطع، ويظهر كيف أنهم جاهلون لا يعلمون حقيقة الدين الإسلامي وحكمة الله في خلقه، ولا يُجيدون التمييز بين الحق والباطل والصحيح والخطأ، ولا يسعنا المقام للتفصيل في حديث الرافعي عن ميراث المرأة المسلمة، ونكتف بقول الرافعي "**إن ميراث البنت في الشريعة الإسلامية لم يقصد لذاته بل هو مرتب على نظام الزواج فيها، وهو كعملية الطرح بعد عملية الجمع لإخراج النتيجة صحيحة من العمليتين معاً فإذا وجب للمرأة أن تأخذ من ناحية وجب عليها أن تدع من ناحية تقابلها، وهذا الدين يقوم في أساسه على تربية أخلاقية عالية ينشئ بها طباعا ويَعدل بها طباعا أخرى** ..." [4]، إن شرائع ديننا الإسلامي كلها

---

[1]: كمال نشأت، المرجع السابق، ص 97.

[2]: سورة النساء، الآية رقم 11.

[3]: مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص23.

[4]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج3، ص 282.

حكم في حكم، علمها من علمها وجهلها من جهلها، فكل شيء منظم بدقة عالية وحكمة بالغة، ولكن الجاهلين لا يعلمون، ولقد تكلم الرافعي عن أمور مهمة في المجتمع، وحاول النصح والإرشاد، وسعى إلى رد الشبهات التي يلقي بها أعداء الدين، وكل هذا ينم عن بعده الإصلاحي.

ثالثا: خطر الزواج بالأجنبيات: ومما حذر منه الرافعي أيضا قضية الزواج بالأجنبيات في مقالة له بعنوان"**الأجنبية**"، فقد شاعت هذه الظاهرة خاصة عند أولئك الذين استكملوا دراساتهم بالخارج، وربما يحدث أن يتزوج المسلم بغير المسلمة بسبب غواية تلك الأجنبية له، وافتتانه بما رآه في أوربا، يذكر الرافعي بعض الآثار الخطيرة الناجمة من جرّاء الزواج بالأجنبية فيقول" **لا تتزوجوا يا إخواني المصريين بأجنبية، إن أجنبية يتزوج بها مصري، هي مسدس جرائم فيه ست قذائف الأولى : بوار امرأة مصرية... وهذه جريمة وطنية، و الثانية : إقحام الأخلاق الأجنبية عن طباعنا وفضائلنا... وهي جريمة أخلاقية، أما الثالثة فهي: دس العروق الزائفة في دمائنا ونسلنا وهي جريمة اجتماعية، والرابعة: تمكين للأجنبي في بيت من بيوتنا وهي جريمة سياسية، وتكمن الخامسة في: إثار غير أخته المسلمة... وهذه جريمة دينية، لتتمثل السادسة بعد ذلك كله في أن هذا المسكين يؤثر أسفله على أعلاه ولا يبالي في ذلك خمس جرائم فظيعة وهذه جريمة إنسانية** "[1]، ويظهر من كل ما سبق الحس الإصلاحي عند الرافعي وتأثره بما يراه ومحاولته تغيير ما فسد في المجتمع.

المطلب الثالث : قضية الفقر ومشكلاته الاجتماعية

تحدث الرافعي عن قضية الفقر وحاول أن يعالج مشكلاته، وذلك باقتراح بعض الحلول الناجعة، وسعى إلى تذكير المسلمين بحكمة فقره صلى الله عليه وسلم حتى يتأسوا به، ومن

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج1، ص185،186 (بتصرف).

هنا يظهر أن مشكلة الفقر كانت من أهم الأفكار الاجتماعية التي تناولها الرافعي في كتاباته بالبحث والتحليل في كتاب "وحي القلم"، يذكر ذلك عبد الستار السطوحي بقوله "**ومن الأفكار التي ظهرت في أدبة قضية الفقر ومشكلاته في مقالات "وحي القلم" حيث يتخذ من النبي صلى الله عليه وسلم رمزا لما يحمله من صفات وفضائل مثل التقشف والتسامي والصبر والجهاد والإيمان والإخلاص والإيثار والقوة والشجاعة فضلا عن إنسانيته العليا ومنزلته في الآخرة**"[1]، وتتجلى دعوة الرافعي للتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في سمو فقره، من خلال مقالة بعنوان "**سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الأعظم**" حيث يتحدث في هذا الموضوع عن حكمة فقر النبي صلى الله عليه وسلم، هذا النبي الكريم والمصلح الأعظم في شتى الميادين **قال تعالى« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا »** [2].

وسلط الرافعي الضوء على قضية الفقر في المجتمع باعتبارها مسألة حساسة، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم علّم الناس أن الفقر ليس حاجة الناس للمال، وإنما الفقر هو فقر القلوب من الإيمان، وفقر الضمائر من الأخلاق يقول الرافعي" **كان النبي صلى الله عليه وسلم على ما يصف التاريخ من الفقر والقلة، ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء، فهو فقير لا يجوز أن يوصف بالفقر، ولا تناله المعاني النفسية التي تعلو بعرض في الدنيا وتنزل بعرض...**" [3] وقد بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فعلمنا دروسا في جميع مجالات الحياة، دروسا في الأخلاق والإيمان، وتربية النفس وتزكيتها، دروس تسموا بالنفس وترتفع بها عن عرض الدنيا، وتركنا على المحجة البيضاء،

---

[1]:عبد الستار السطوحي، الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإسلامي الرافعي، دار الإعتصام، القاهرة،1986،ص 77، نقلا عن محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي،رسالة ماجستير، إشراف جبير صالح حمادي القرغولي، كلية الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، 2012،ص136.

[2]: سورة الأحزاب، الآية رقم21.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج2، ص 30.

قال النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم «**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**» [1]، فقد تعلمنا منه صلى الله عليه وسلم أن المسلم غني بإيمانه متعفف بأخلاقه، فالمال لا يصنع الرجل، بل إن لم يحسن التصرف به كان سببا في إذلال الرجل وتحقيره ومن بعد ذلك هلاكه، فلا مكان للمال في قلب المؤمن وإن ملكه في يده، ولقد راحت الإنسانية تبحث عن الكمال الإنساني فلم تجده إلا في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وراحت تبحث عن حياة الإنسان وسعادته فلم تجده إلا في دين النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يضر إن جحد الجاحدون أو غفل عن ذلك الغافلون، يقول الرافعي"...**ولو علمت لعلمت أن درس هذا العصر في علاج مشاكله الإنسانية هو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لم يبلغ أحد في وصفه الاجتماعي ما بلغ هو في قوله "إنما أنا رحمة مهداة**"[2].

وراحت الإنسانية تبحث عن دوائها وتلتمس علاجها، وتبحث عن الطرق الناجعة للقضاء على الفقر أو التقليل من حدته، ولم تنجح ولم تفلح، إلا عندما اتخذت من شرع الله منهجا ومن النبي صلى الله عليه وسلم قدوة، فديننا يفرض الزكاة على المسلم، ويأمرنا بالتراحم والتكافل والإحسان فيما بيننا، وهذا ما جعل الرافعي يدعوا إلى الإحسان الاجتماعي"**عن طريق التربية الاجتماعية...، فالإحسان عنده ضرب من ضروب الإصلاح الاجتماعي، يؤتي نتائجه الطبيعية، ظهر أو خفي، أولا يذهب به ضعفه أو قلته، ولكن الذي جعل الموجود منه ضائقا، والمثمر متقطعا هو جهلنا كيفية الاحسان**"[3]، ويصف لنا الرافعي كيف أن فقر النبي صلى الله عليه وسلم هو درس للناس أجمعين لا بكتاب يخطه بيديه الشريفتين ولكن من خلال أخلاقه وسيرته العطرة التي نستشف منها معنى الحياة الطيبة

---

[1]: محمد بن سماعيل البخاري، صحيح البخاري،ج6، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، حديث رقم 2840،ص2653.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق،ج 2، ص 31.

[3]: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص 523،524 نقلا عن مجلة المقتطف، سبتمبر 1914م.

والأخـــــلاق العظيمـــــة يقـــــول الرافعـــــي" **هـــــــذا المصـــــــلح الاجتماعي الأعظم يلقي فقره اليوم درسا على الدنيا العلمية الفلسفية،لا من كتاب ولا فكر، ولكن بأخلاق السامية وعمله وسيرته، إذ ليس المصلح مَن فكّر وكتب، ووعظ خطب، لكنه الحي العظيم الذي تلتمسه الفكرة العظيمة لتحيا فيه، وتجعل لـه عمرًا ذهنيًّا يكون مصرفًا على حكمها فيكون تاريخه ووصفه هو وصف هذه الفكرة وتاريخها**".[1]

فنظرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم نظرة كاملة شاملة واضحة المعاني، فهو نور يمشي على الأرض، وقد علق الدكتور مصطفى الشكعة على كلمات الرافعي هاته بقوله "**لكأني بالرافعي يريد أن يغمز بعض المذاهب الاجتماعية المعاصرة المنبثقة من أفكار مكتوبة، لها بريق يجلب الأنظار ولكنها عند التطبيق،لا تؤتي الثمرة التي أرادت الفكرة أن تتمخض عنها، ذلك أنها أرضية، أما فلسفة محمد صلى الله عليه وسلم وإصلاحه الاجتماعي فمستمدة من السماء**"[2]، والنبي صلى الله عليه وسلم عرف حقيقة الدنيا الفانية فلم يهتم لزخرفها، لأنه يعلم بأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأن نظرة واحدة في نعيم الآخرة تنسيك الدنيا وما فيها، ولو أراد البني صلى الله عليه وسلم أي شيء من الدنيا لأتاه طوعا، ولكنه فضل أن يشبع يوما ويجوع يوما ليتذكر الله ويحمده، يروي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال« **عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما وقال ثلاثا أو نحو هذا فإن جعت تضرعت إليك وذكرتك وإن شبعت شكرتك وحمدتك**»[3]، وبعد أن سرد الرافعي الكثير من الأحاديث النبوية عن سمو فقر النبي محمد صلى الله عليه وسلم علق قائلا" **إذا قرأت الأحاديث التي أسلفناها فلا تقرأها زهدا وتقللا، ولا فقرا ولا جوعا، ولا اختلالا وحاجة، كما تترجمها نفسك أو**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج س، ص س.

[2]: مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص119.

[3]: محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، مراجعة أحمد محمد شاكر وآخرون ، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب ماجاء في الكفاف والصبر عليه، حديث رقم 2347، ص715.

تحسها ضرورتك، بل انظر فيها واعتبرها بنفسه هو صلى الله عليه وسلم، ثم أقرأها شريعة اجتماعية مفصلة على طبيعة النفس، قائمة على أن تأخذ نفس الإنسان من قوى الدنيا عناصرها الحية، لتعطي الحياة من ذلك قوة عناصرها"[1].

وقد ضرب الرافعي أروع الأمثلة وأسماها في قضية الفقر حتى يتعظ الناس، ويتحدث الرافعي أيضا عن الفقر والفقراء في مواضيع أخرى ولكن بطريقة مغايرة عن الطريقة الأولى، فهنا" **يفسح في مقالاته لآلام البؤساء والمشردين وأسقامهم، ويئن بصوت الإنسانية الرحيم، حتى لكأنه المشرد أو البائس الذي يصفه،وتتدفق عليه أنات البشرية وعبراتها من كل صوب**"[2]، يصف حال البؤساء والمحرومين واليتامى، فيرثي حالهم، ويشكوا مصابهم في مقال بعنوان"**أحلام في الشارع**" ناقما عن المسؤولين والأغنياء،لأنهم

لم ينظروا بعين الرحمة لهده الفئة المحرومة، التي وجب التكفل بها، وديننا يأمرنا بالتراحم فيما بيننا ويحثنا عليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم « **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** »[3]، وتتجلى إنسانية الرافعي وهو يصف حال طفلين يتيمين رآهما نائمين على رصيف الشارع، يذكر المشهد الذي رآه فيقول"**وقفت أشهد الطفلين وأنا مستيقن أن حولهما ملائكة تصعد وملائكة تنزل، وقلت هذا موضع من مواضع الرحمة، فإن الله مع المنكسرة قلوبهم ولعي أن أتعرض لنفحة من نفحاتها، ولعل ملكا كريما يقول: وهذا بائس آخر، فيرفني بجناحيه رفة ما أحوج نفسي إليها، تجدها في أرض لمسة من ذلك النور المتلألئ فوق الشمس والقمر**"[4]، وقد تأثر الرافعي بهذين الطفلين اليتيمين وحزن لحالهما، وأرجع حالهما للفساد الذي شهده المجتمع، إلى أن ينهى الرافعي قصته بحادثة طرد الطفلين من

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 2، ص 35.

[2]: شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 250.

[3]: محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم 1922، ص 594.

[4]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص59.

عتبة البنك وقطعت أحلاهما الجميلة، وهذا حال الأمة إذا ابتعدت عن شرع الله الذي يأمرنا بالتراحم فيما بيننا، ويظهر أن الرافعي "**يكتب في القصص الاجتماعية التي يراها في المجتمع بقلم المؤمن المدافع عن الإسلام بواقع الحرص والغيرة لما يراه في مصلحة الأفراد والمجتمع**"[1].

ومن خلال هذين الموضوعين تظهر رسالة الإصلاح التي حملها الرافعي للمجتمع، وتظهر مدى إنسانيته فنجده ينظر للفقراء بقلب رقيق يشفق على حالهم ويعظ الأغنياء حتى يقوموا بدورهم في المجتمع، ومن جهة أخرى نجده يرشد الفقراء ويحثهم على ضرورة التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم موضحا لهم حكمة الفقر ورفعة الصابر المتعفف.

المبحث الثالث: البعد الإصلاحي في المجال السياسي:

كتب الرافعي العديد من الموضوعات عن أمور السياسة ونظامها، يحاول في العديد منها أن يبعث برسالة إصلاح لما يراه قد فسد في النظام السياسي للبلد، فتفاعل الرافعي مع الأوضاع السائدة في بلده، وفي بعض البلدان العربية وتأثر بها وكتب ما أملت عليه نفسه، فتحدث عن النظام السياسي لبلده وعن الحركات السياسية ومواقفها، وبدا وكأنه" **لا يرضيه الشكل الذي تقوم عليه الجماعات السياسية وليس لها من التنظيم غير تقليد الغرب في منظماته وقد تجر إليها الوقائع والأحداث في مقارنة تثير الإشفاق أحيانا**"[2]، وسنسلط الضوء على أهم القضايا التي تناولها الرافعي في هذا المجال.

المطلب الأول: القضايا المصرية الداخلية:

بعث الرافعي برسالة إلى أولئك الذين يمتهنون السياسية ويتخذونها حرفة، ولا يهمهم ما قد يصدر من أقوالهم و أعمالهم، فكتب عدة مواضيع في هذا المجال، نذكر بعض العناوين لهذه الموضوعات:"**الطماطم السياسي**" "**البك والباشا**" "**خضع يخضع**" "**المعجم**

---

[1]: نجاة محمد عبد الماجد العباسي، الجانب الديني في أدب الرافعي، رسالة ماجستير، إشراف محمد نبيه حجاب، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية،1986، ص111.

[2]: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، ص 65.

السياسي"...، وقد أبصر الرافعي مدى الانحراف الذي طال ميادين السياسة، ورأى ما آلت إليه البلاد، وأخذ يصف في مقالة بعنوان "**الطماطم السياسي**" الكثير من أوجه الانحراف السياسي " **والموضوع وإن كان خياليا إلا أنه يمثل أخلاق السياسيين الجهلة في الأقطار العربية أيام الرافعي** "[1]، فعبر الرافعي في هذه المقالة عن ذلك الدهاء السياسي المذموم الذي يفسد ولا يصلح، إذ يقول " **كان (م) باشا رحمه الله داهية من دهاة السياسة المصرية. يلتوي مرة في يدها التواء الحبل، ويستوي في يدها مرة استواء السيف، ولا يرى أبداً إلا منكمشا متحرزاً كأن له عدواً لا يدري أين هو ولا متى يقتحم عليه، ولكنه كغيره من الرؤساء الذين كانوا آلاتٍ للكذب بين طالب الحق وغاصب الحق يعرف أن عدوه كامنٍ في أعماله**"[2].

فالرافعي عبر عن بعض الطرق الملتوية التي امتهنها السياسيون، وعبر بلسان شخصية (م باشا) وهي شخصية خيالية من تأليفه جعلها وسيلة للتعبير عن بعض الحقائق التي شهدها عصره، يخبرنا بهذا سعيد العريان قائلا :" **أما (م) باشا فلا أحسبه شخصية حقيقية كان منها وكان مما روى الرافعي ولكنها شخصية من تأليفه هو اصطنعها ليقول بلسانها ما قال، على أن أكثر ما روى الرافعي من الروايات على لسان (م) باشا هو حقائق ولكنها لا تنتسب جميعا إلى شخص واحد** "[3].

إن طريقة الوصف لهذا السياسي تدل على سعة الاطلاع الذي حازه الرافعي، وأنه كان يفهم تلك المناورات من سياسيين وصلوا أعلى الدرجات وتبوؤوا أسمى المراتب في الدولة، ليس من فهم وتمكّن وإنما من تحايل وخداع، مما يجعل عملهم مقصور في تحقيق مصالحهم الشخصية، كما يتطرق الرافعي لظاهرة الكذب في السياسة ويبين ضرره على البلاد والعباد، فلا تصلح الأمة إلا إذا صدق أبناؤها يقول الرافعي" **إن الأمة لن تكون في**

---

[1]: م.ح.م ضيف الله ، نثر مصطفى صادق الرافعي، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، سنة 1968، ص 230.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج2، ص179.

[3]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص300.

موضعها إلا إذا وضعت الكلمة في موضعها، وإن أول ما يدل على صحة الأخلاق في أمة كلمة الصدق فيها، والأمة التي لا يحكمها الصدق لا تكون معها كل مظاهر الحكم إلا كذبا وهزلا ومبالغة"[1]، فالرافعي يبعث برسالة لهؤلاء السياسيين الذين يمتهنون الكذب، وكأنه يقول لهم بأني أعلم أعمالكم وأفقه أقوالكم، فهو "**يتقن مناورات السياسيين ويستطيعها، ولكنه لا يجد في نفسه رغبة فيها لأنها تتنافى وأخلاقه ومروءته ودينه**"[2].

ويتحدث الرافعي في مقالة بعنوان "**البك والباشا**" يصف السياسيين الذين ينصبون أنفسهم أعلى المراتب وهم لا يستحقون أدناها، لأن غرضهم الأول الأخذ بأسباب السلطة، وليس خدمة الصالح العام وبهذا يؤثرون مصالحهم الخاصة على مصالح العامة، ولا يهتمون لحال البلد حسن أم ازداد سوءا، يقول الرافعي " **قال: وكنت أعرف هذا الرجل وهو رجل أميٌّ لا يحسن إلا كتابة اسمه كما تكتب الدجاجة في الأرض... فكانت الرتبة عليه كإطلاق لفظ الحديقة على صخرة من الصخور الصَّلدة؛ وهذا مما يحتمله المجاز بعلاقة ما. ولكن الذي لا يسوغ في المجاز ولا في مبالغات الاستعارة ولا في خرافات المستحيل أن تزعم الصخرة للناس أن لفظ الحديقة الذي أطلق عليها قد أنبت فيها أشجار الحديقة...** "[3]. والرافعي حين أشغل ذهنه في التفكير بحال بعض الساسة وأمور السياسة تحدث عن ذلك في بعض موضوعاته، وتجلى ذلك التفكير في مقالات أخرى ليس لها علاقة بحال السياسيين ولا بأمور السياسة في عصره، فكتب الرافعي عن أعياد المسلمين وألحق بها عبارة "المعنى السياسي" فحمل الموضوع معنى سياسي ذو صيغة دينية يقول الرافعي بين تضاعيف مقالته "**المعنى السياسي في العيد**" : "**ما أشد حاجتنا نحن المسلمين إلى أن نفهم أعيادنا فهما جيدا، نتلقاها به ونأخذها من ناحيته، فتجيء أيامنا سعيدة عاملة، تنبه فينا أوصافها القوية وتجدد نفوسنا بمعانيها لا كما تجيء الآن**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج س، ص 181.

[2]: م.ح.م ضيف الله ، المرجع السابق، ص231 .

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج2، ص 182.

كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى، أكبر عملها تجديد الثياب، وتجديد الفراغ، وزيادة ابتسامة على النفاق ..." [1]. وبعد ذلك يسرد الرافعي الكثير من المعاني الجميلة في أعياد المسلمين ويختم حديثه قائلا "**هذه المعاني السياسية القوية هي التي من أجلها فرض العيد ميراثا دهريا في الإسلام، ليستخرج أهل كل زمن من معاني زمنهم فيضيفوا إلى المثال أمثلة مما يبدعه نشاط الأمة ويحققه خيالها وتقتضيه مصالحها**"[2]. والرافعي وإن تحدث عن أمور السياسة وأحوال السياسيين فهذا لا يعني انشغاله أو اهتمامه بها، وإنما فرضته الحاجة في عصره، فقد كان يرى من يوالي الاستعمار ويساعده على تقويض أركان بلاده ثم يدّعي من بعد ذلك أنه سياسي محنك، يأخذ ما لم تستطع أن تأخذه القوة، وقد ذكر الرافعي في خطاباته هذه ما هو موجود في بلده، وما يجب أن يكون من صدق وإعلاء لكلمة الحق، ليصلح البلد وتصلح الأمة.

المطلب الثاني: قضية فلسطين والنصرة العربية الإسلامية

قضية فلسطين هي قضية دينية، تخص الأمة الإسلامية قاطبة، ومنه وجب على المسلمين التكاتف والتعاون من أجل تحرير بلاد الأقصى من أيدي الغاصبين اليهود، ونحن إذ نوردها في دعوات الإصلاح في المجال السياسي عند الرافعي، لكون هذا الأخير حاول الكثير من المرات إصلاح الرأي السياسي حول القضية الفلسطينية، وعمل على شحذ الهمم وتقوية العزائم التي تراخت نتيجة الاستعمار الانجليزي، الذي سعى شأنه شأن أي احتلال إلى تغييب القضية الفلسطينية وإشغال الناس عنها، فلم تظهر آراء المفكرين والسياسيين بخاصة إلا باهتة ومشوشة في كثير من الأحيان، وبالمقابل ظهرت العديد من الجمعيات والمنظمات السياسية التي تدين بالولاء للاستعمار الانجليزي، وكُتبت العديد من المقالات على أعمدة الجرائد من قبل سياسيين ومفكرين حول القضية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، ولكن ظلت الكثير من هذه المواقف والكتابات غير متزنة في الفكرة

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج1، ص25.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج ن، ص26.

وغير ملهمة للشباب المسلم " **أما موقف الرافعي من فلسطين –القضية والمأساة– فإنه ليلوح من خلال موقفه القومي، الذي يؤكد فيه على الوحدة العربية اللغوية، والجامعة الإسلامية، وكأنه مغاير لمواقف المصريين غير الواضحة آنذاك، وربما غير المتزنة أحيانا !**" [(1)]. فتحدث الرافعي عن محنة فلسطين باعتبارها قضية المسلمين وليست قضية الشعب الفلسطيني لوحده، ولهذا جعل الرافعي عنوان مقالته "**أيها المسلمون**" يقول فيها "**نهضت فلسطين تحل العقدة التي عقدت لها بين السيف، والمكر، والذهب. عقدة سياسية خبيثة، فيها لذلك الشعب الحر قتل، وتخريب وفقر، عقدة الحكم الذي يحكم بثلاثة أساليب: الوعد الكاذب، والفناء البطيء، ومطامع اليهود المتوحشة، أيها المسلمون! ليست هذه محنة فلسطين، ولكنها محنة الإسلام، يريدون ألا يثبت شخصيته العزيزة الحرة، كل قرش يدفع الآن لفلسطين، يذهب إلى هناك ليجاهد هو أيضًا** "[(2)].

ويرفع الرافعي صوته بالنداء ليبعث الحمية في قلوب المسلمين، بأسلوب قوي ينبض بالوطنية وحب الجهاد، ويحث على نصرة القضية الفلسطينية، وبذلك تكون نصرة للإسلام وللمسلمين، لأنها امتحان لمدى حب المسلمين لدينهم وغيرتهم عليه وعلى أبناء المسلمين، ولهذا نجد الرافعي من خلال مقالته "**يستصرخ المسلمين للذود على هذا الوطن المقدس وأهله العرب أمام اليهود الجشعين داعيا إلى جهادهم وجهاد المسلمين من ورائهم بأسلوب ناري متأجج**"[(3)]، يُظهر من خلاله معنى أخوة المسلمين ونخوتهم، فهم كالجسد الواحد يحس المسلم بآلام المسلمين ويفرح بالمقابل لأفراحهم ويزهوا بانتصاراتهم، كما نجده يذكر المسلمين بحقيقة الإسلام، فالمسلم عزيز لا يذل أبدا ولا يخاف من أي مخلوق كائنا من كان، فهو يعيش مكرما في الدنيا يقف في وجه الظلم والطغيان فتكون حياته بذلك جهادا وموته في سبيل الله شهادة، فالإسلام نبع القوة ومصدر العزة وفخر الأمة.

[(1)]: مصطفى نعمان البدري، المرجع السابق، ص 60.

[(2)]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص 163.

[(3)]: شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص 248.

ونجد الرافعي يذكر المسلمين بالسلف الصالح أولئك الأبطال الأفذاذ والمجاهدين الصادقين الذين لم يخشوا إلا الله تعالى فعاشوا بذلك أعزة منعمين ولقوا ربهم شهداء مكرمين، نقرأ قول الرافعي " **كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك. فافتحوا أنتم أيديكم...كانوا يرمون بأنفسهم في سبيل الله غير مكترثين، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهم. لماذا كانت القبلة في الإسلام إلا لتعتاد الوجوه كلها أن تتحول إلى الجهة الواحدة؟ لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت في الحق؟ أيها المسلمون! كونوا هناك. كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعاني.**" [1]، فالرافعي يحث المسلمين على دعم فلسطين ولو بالمال لأن هذا تعبير عن تضامنهم، وهو شكل من أشكال نصرة القضية الفلسطينية العادلة، ثم نجد الرافعي يدل المسلمين على تجارة رابحة وغير مكلفة ولكن فيها المعنى العظيم في الدعم والنصرة، يذكر الرافعي ذلك بقوله: "**لو صام المسلمون كلهم يوما واحدًا لإعانة فلسطين، لقال النبي صلى الله عليه وسلم مفاخرًا الأنبياء: هذه أمتي! لو صام المسلمون جميعا يومًا واحد لفلسطين، لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل: إن فيها قومًا جبارين...أيها المسلمون! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئا سماويًا.كل قرش يبذله المسلم لفلسطين، يتكلم يوم الحساب يقول: يا رب، أنا إيمان فلان**"[2].

ويظهر من خلال مقاله أيها المسلمون مدى تضامن الرافعي مع القضية الفلسطينية وحرصه على نصح المسلمين، وقد برزت نزعته الإسلامية يقول سعيد العريان "**الرافعي عند طائفة من قراء العربية أديب عسير الهضم... ولكنه عند الكثرة من أهل الأدب وذوي الذوق البياني الخالص أديب الأمة العربية الإسلامية..**" [3]فالقضية الفلسطينية ليست قضية الشعب الفلسطيني وحده، وليست قضية العرب وحدهم، وإنما قضية جميع المسلمين.

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 2، ص 164.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج ن، ص 165.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج1،ص07

المطلب الثالث: مقاومة الاحتلال ورفض الهيمنة

للرافعي الكثير من الآراء السياسية الإصلاحية وله العديد من المواقف في مقاومة الاستعمار، فقد رأى الرافعي تهاون الحكام وقواد البلاد مع الاحتلال وانصياعهم لأوامره، فراح يرفع من معنويات الشباب، فيصرخ بنفس الصوت الذي ينادي به لنصرة فلسطين، فينادي هنا على الشباب العربي في مقالة له بعنوان "**يا شباب العرب**" ويحث فيه الشباب العربي على الكفاح ومقاومة الاحتلال الانجليزي، وأخذ " **ينفخ في روح الشباب المصري، موقظا فيه حميته لوطنه، حتى ينتفض كالأسد على الانجليز ويذيقهم وبال استعمارهم، إن كل مصري ينبغي أن يتحول شعلة آدمية تأتي عليهم كأن لم يكونوا شيئا مذكورا**"[1]، ويشد على يد الشباب، ويشحذ هممهم ويقوي عزائمهم، ويدعوهم لتفنيد مزاعم الأعداء الذين يدّعون تمكنهم من الشباب العربي يقول الرافعي" **يا شباب العرب! مَنْ غَيْرُكم يُكذِّب ما يقولون ويزعمون على هذا الشرق المسكين؟ مَنْ غيرُ الشباب يضع القوة بإزاء هذا الضعف الذي وصفوه؛ لتكون جواباً عليه؟ مَنْ غيركم يجعل النفوس قوانينَ صارمة، تكون المادة الأولى فيها: قَدَرْنا لأننا أردنا؟ألا إن المعركةَ بيننا وبين الاستعمار معركةٌ نفسية، إن لم يقتل فيها الهَزْلُ قتل فيها الواجب!**" [2].

ثم يذكّر الرافعي بسهولة التغلب على المستعمر إذا هم عقدوا العزم على النصر، وبقوة الإيمان ينتصر المرء، ويعلوا فوق كل الصعاب ويتحرر من كل القيود، فالمسلم يملك كل أسباب القوة والنصر في دينه، ويشيد الرافعي بالتقدم الذي حققه العرب من صحوة، ورغبتهم في التحرر من عبق الاستعمار ويتحدث في مقال بعنوان "**نهضة الأقطار العربية**"ويظهر عزم العرب على كسر الأقفال التي أبطأت سيرهم وقيدت حريتهم، وقد ترددت كلمة العروبة كثيرا في عصر الرافعي "**وأخذت تنمو شيئا فشيئا إلى أن أصبحت في أيام الرافعي الأخيرة ذات معالم واضحة، وتبلورت أكثر في سنة 1936 أيام التكتل**

[1]: شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص 249.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 2، ص 165.

العربي حول قضية فلسطين، وثورتها التي اندلعت ضد اليهود وضد الانجليز في جميع التراب الفلسطيني"[1].

وأخذ الرافعي يسرد بعض أثر النهضة العربية، التي كانت بمثابة الشعلة التي تنتظر أن تتأجج، وقد عبرت عن استفاقة بعض الأقطار العربية من غفوتها وتطلعها للتحرر، تحدث الرافعي عن ذلك قائلا:" **لا ريب أن النهضة واقعة في الأقطار العربية، مستطيرة في أرجائها استطار الشرر يضرم في كل جهة نارا حامية، ويستمد من كل ما يتصل به لعنصره الملتهب، ولا ريب في أن الشرق قد تفلت من أوهام السياسة وخرافاتها..." [2]**

ولأن أساس كل نهضة ومصدر عز الأمة هو الإسلام، ولو تأمل أحد في معانيه وتبصر في حقائقه لعرف بأنه لا يخشى أحدا إلا الله، وهذا يذكرنا بقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"، فلا يجوز للمسلم أن يضعف أو يستكين فهو قوي بإيمانه، عزيز بإسلامه، منتصر بتوكله على ربه، ومن هنا وجب على المسلم أن يتحرر من الاحتلال ليس فقط تحرر جسده، وإنما أن يتحرر بفكره فلا يبقى أي أثر من آثار الاستعمار يقول الرافعي "**والذي أراه أن نهضة هذا الشرق العربي لا تعتبر قائمة على أساس وطيد إلا إذا نهض بها الركنان الخالدان: الدين الإسلامي، واللغة العربية، وما عداهما فعسى أن لا تكون له قيمة في حكم الزمن الذي لا يقطع بحكمه على شيء إلا بشاهدين من المبدأ والنهاية" [3]**

وبهذا الاستعراض لبعض ما كتب الرافعي من أراء وما خلده من مواقف في سبيل نصرة القضية الفلسطينية، ودعوته لمحاربة المستعمر الغاشم عن بلده وعن بلاد الوطن العربي الكبير، نكون وقد وقفنا على أهم جوانب الإصلاح في المجال السياسي عند الرافعي

---

[1]: م.ح.م ضيف الله، المرجع السابق، ص 242-243.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 123.

[3] مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج ن، ص 124.

بالوضع السياسي لبلده وبلاد العرب، وهذه مواقف إصلاحية للرافعي تشهد له دوره في الجهاد السياسي بقلمه، وحرصه على تحرر المسلمين وهذا شأن كل مسلم.

الفصل الثاني: الأثر الجمالي للبعد الإصلاحي في أدب الرافعي

من خلال "وحي القلم"

المبحث الأول: جماليات الأسلوب والأفكار في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي.

المطلب الأول: جماليات الأسلوب في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي .

المطلب الثاني: جماليات الأفكار في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي .

المبحث الثاني: بناء الصورة في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي .

المطلب الأول: الخيال عند الرافعي في خطاباته الإصلاحية .

المطلب الثاني: العاطفة عند الرافعي في خطاباته الإصلاحية .

المبحث الثالث: جماليات لغة الرافعي في خطاباته الإصلاحية.

المطلب الأول: الاقتباس من القرآن الكريم و السنة النبوية .

المطلب الثاني: دعوة الرافعي للإصلاح اللغوي.

الفصل الثاني: الأثر الجمالي للبعد الإصلاحي في أدب الرافعي من خلال "وحي القلم"

المبحث الأول: جماليات الأسلوب والأفكار في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي

المطلب الأول: جماليات الأسلوب في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي

تعددت كتابات الرافعي وتنوعت مواضيعه في كتاب "وحي القلم"، لكن أهم ما ميزها هي تلك المواضيع ذات الطابع الديني والاجتماعي والتي تحمل بين جنباتها رسالة إصلاحية من أديب حمل الفكرة الإسلامية ودافع عنها، فأثمرت أشكالا وألوانا من الجمال وأنساقا من البديع والبيان، وجعلت أسلوب الرافعي علامة مميزة يعرف به أدبه ويستدل به على شخصه، إذ أن الأسلوب كما يقال هو الرجل، ولقد "**استطاع في هذا أن يكون أمثولة فريدة في غناء البيان العربي وحياة البلاغة وإنبات الكلمات وإحياء الصور والعبارات في تجل وسمو... ألا ترى أن عبارته وجملته وأسلوبه تظهر لقارئيه للوهلة الأولى سواء منهم من سلك إليه أم من يتصدى له ماثلة بقوتها وجمالها؟**" [1].

إن الحس الإصلاحي عند الرافعي والنابع من توجهه الإسلامي قد أضفى مسحة جمالية تجسدت في خطاباته الإصلاحية سواء ما كان منها في المجال (الديني أو الاجتماعي أو السياسي)، وإن قلنا دراسة الأسلوب فلكون هذا الأخير يشمل جميع جوانب الأدب، وما قوته وجماليته إلا دليل على تمكن صاحبه وقدرته الأدبية، ويعرف الأسلوب في اللغة على أنه "**السطر من النخيل، وكل طريق ممتد هو أسلوب، والأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب بالضم معناه الفن**"[2]، وقد اهتم به القدماء من أمثال: الجرجاني والقرطاجني وابن خلدون وجاءت تعريفاتهم للأسلوب متفاوتة ومتباينة لاختلاف رؤية كل واحد ومنهجه وفكره.

كما كانت لدراستهم أثر واضح في بحوث المحدثين يؤكد ذلك الأستاذ أحمد الشايب بقوله:"**إن الأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناصية الشكل خاصة هي طريقة الأداء**

---

[1]: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص 354.

[2]: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلب)، مج1، ص 473.

أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية"[1]. واستمرت الدراسات الأسلوبية وتطورت في مناهجها وتحددت معالمها، وانتقلت العديد من التيارات الغربية إلى الأدب العربي،وأقبل الباحثون يراجعون دراساتهم ويعيدون النظر في معطياتها وطريقة معالجتها ونتائجها" **وأصبح الأسلوب موضوعا من الموضوعات التي يعالجها علماء اللغة عامة، وعلماء الأسلوب خاصة**"[2].

ويشترط في الكتابات الأدبية صحة الأداء وقوته، وسلامة النسق ممزوجا بسمو التعبير، ليظهر بكل ذلك إبداع الصورة ونظارتها وقوة الأسلوب وجماليته، وهذا ما ذهب إليه الرافعي بقوله: "**وفي الكتاب الفضلاء باحثون مفكرون تأتى ألفاظهم ومعانيهم فنا عقليا غالبه صحة الأداء وسلامة النسق، فيكون البيان في كلامهم ندرة كوخز الخضرة في الشجرة اليابسة هنا وهنا، ولكن الفن البياني يرتفع على ذلك بأن غالبه قوة الأداء مع الصحة، وسمو التعبير مع الدقة، وإبداع الصورة، أولئك في الكتابة كالطير له جناح يجري به ويدف ولايطير، وهؤلاء كالطير الآخر له جناح يطير به ويجري، ولو كتب الفريقان في معنى واحد لرأيت المنطق في أحد الأسلوبين وكأنه يقول: أنا هنا في معان وألفاظ وترى الأسلوب يطالعك أنه هنا في جلال وجمال، وفي صور وألوان**"[3].

وهنا يكمن الفرق بين أسلوب الأدباء، وتتفاوت درجة جمال الكتابة الأدبية بتفاوت درجة جمال الأسلوب ورصانته، إذ أن الأسلوب الأدبي هو أسلوب راق، يجذب المتلقي ويجعل الأفكار تترتب في ذهنه محملة بألوان من الجمال، تأسر القارئ وتزيد في شغفه وتمنحه رغبة في طلب المزيد ويعرف الأسلوب الأدبي على أنه "**الأسلوب الجميل ذو**

---

[1]: أحمد الشايب، الأسلوب –دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب –ط8،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1991، ص 44.

[2]: مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط2،مكتبة لبنان، بيروت، 1984،ص 35.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج1، ص 12.

الخيال الرائع والتصوير الدقيق الذي يظهر المعنوي في صورة المحسوس والمحسوس في صورة المعنوي"[1]، واهتم الرافعي بالأسلوب اهتماما بالغا وتحدث عن سموه وجماله في مقاله الذي بعنوان " **الأدب والأديب**"، وجعل مصدر اللذة في الأدب " **آتية من جمال أسلوبه وبلاغة معانيه وتناوله الكون والحياة بالأساليب الشعرية التي في النفس**" [2].

ومن أثر البعد الإصلاحي نجد تبسط الرافعي في أسلوبه بعدما كان يوصف أسلوبه بالغموض والتعقيد، خاصة في كتاباته الوجدانية التي عبر بها عن أحاسيسه في فترة من حياته، وقد تنبه إليه الأدباء واستغله خصومه للطعن في العديد من كتاباته، حتى قال طه حسين بخصوص كتاب "حديث القمر" للرافعي : "**اللهم إني أشهد أني لا أفهم شيئا ... ومهما يكن من شيء فإن الذين يريدون أن يروضوا أنفسهم على الطلاسم و اقتحام الصعاب وتجشم العظائم من الأمور يستطيعون أن يجدوا في كتاب الرافعي ما يريدون**"[3]، أما أنصاره فاعتبروا أن هذا الغموض والتصنع إنما هو "**من تحرّيه ما تقدم من صفة الشعر والبيان**"[4]. وحينما بدأ الرافعي الكتابة في "مجلة الرسالة" مال إلى الوضوح والتبسيط لأنه عرف حق قارئيه عليه، فهو يخاطب قراء من شرائح مختلفة وثقافات متفاوتة ويسعى إلى نصحهم وإرشادهم، وظهر كتاب "وحي القلم" بحلة بهية وطلعة ندية، تنبئ عن الحس الجمالي عند الرافعي"**وكم أصاب العريان حين جعل 'وحي القلم' مساعدا على فهم ما سبقه من طلاسم الفن الرافعي فالواقع أن 'وحي القلم' بوضوح موضوعاته وارتعاش الحياة فيها، يعلم طريقة الرافعي في التفكير وأسلوبه في التعبير، فيعين في غيره على شم هذا العبير والأنس بهذه الموسيقى على أن مرحلة غموضه**

---

[1]: مجدي وهيبة وكامل المهندس، المرجع السابق، ص 35.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 158.

[3]: طه حسين، حديث الأربعاء، ج3، ط12، دار المعارف،دس، ص 124.

[4]: مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ص 354.

عامل من العوامل بنائه وشموخه بما دلت عليه من اهتمام عصره وأبهه له، اهتمام وأبها، يعبر عنها نقد خصومه قبل دفع أنصاره"[1].

كما تظهر قيم الإصلاح في كتابات الرافعي من خلال العلاقة التي جعلها بين الأدب والإنسانية، نقرأ في هذا الصدد قوله " **إن الأصل في الأدب هو البيان والأسلوب وذلك في جميع لغات الفكر الإنساني لأن طبيعة النفس الإنسانية**"[2]، والتكلم عن أسلوب الرافعي في كتاب "وحي القلم" يفضي إلى الحديث عن أسلوبه القصصي، ذلك أن الكتاب حوى الكثير من القصص والتي يسعى من خلالها للنصح وإصلاح ما يرى أنه قد فسد في مجتمعه، وكان الغرض الأول من هذه القصص العظة واستنباط الحكم، فلم يكن الرافعي يهتم بشروط القصة وضوابطها، وإنما يكتب رسالة إصلاح بأسلوب شيق، يقول سعيد العريان في هذا الصدد "**وطريقة الرافعي في كتابة قصصه غريبة، وغايته منها غير غاية القصاص، فالقصة عنده لا تعد وأن تكون مقالة من مقالاته في أسلوب جديد، فهو لا يفكر في الحادثة أول ما يفكر، ولكن في الحكمة والمغزى والحديث والمذهب الأدبي ثم تأتي الحادثة من بعد**"[3]، ولنتأمل مثلا أسلوب الرافعي في قصة "**اليمامتان**" وهي من قصص الفتوحات الإسلامية، التي أعز الله بها الإسلام، يحدثنا الرافعي على لسان إحدى شخصيات القصة واصفا أخلاق المسلمين بتعبير رائع ولغة جميلة وأسلوب بديع قائلا "**...وإنهم جميعًا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود أنفسهم وشهواتها... وقالت عن النساء: لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي؛ فإنهم جميعًا في واجبات القلب وواجبات العقل، ويكاد الضمير**

---

[1]: صدر الدين شرف الدين، المختار في أدب الرافعي، دار الكاتب الغربي، ص11، نقلا عن نجاة محمد عبد الماجد العباسي، الجانب الديني في أدب الرافعي، مذكرة ماجستير، ص110.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3،ص 973.

[3]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص 253.

الإسلامي في الرجل منهم، يكون حاملًا سلاحًا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته"[1]، ويعد أسلوب الرافعي في كتابة القصة أسلوب راق وفريد خص به الرافعي وحده، يحدثنا علي الطنطاوي عن أسلوب الرافعي في كتاب وحي القلم قائلا " **أسلوبه في مقالات الرسالة التي جمعها في كتاب وحي القلم، هو أسلوب ممتاز، فيه بيان وبلاغة وفيه-غالبا- وضوح، وخيره ما كان على صورة قصة...**" [2] ، وهذا مثال آخر يعبر عن أسلوبه الرائع حين يتكلم على أثر الدين الإسلامي في حياة الإنسان ورفعة شأنه، وكيف أن هذا الدين سينتشر في الكون ليزرع الحياة في كل موضع يقول الرافعي:" **إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء؛ طبيعة تعمل في طبيعة؛ فليس يمضي غير بعيد حتى تخضرّ الدنيا وترمي ظلالها؛ وهو بذلك فوق السياسات التي تشبه في عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر...شتان بين عمل وعمل، وإن كان لون يشبه لونًا...**" [3]

ولقد حاز الرافعي من جمال الأسلوب كل لون، وكان أسلوبه مرآة عاكسة لشخصه فتميز بأسلوبه على كل أديب سواه خص به واحده وكان علامة مميزة له، يذكر ذلك الزيات بقوله"**لا أعلم أديبا معاصرا حاز من الفضيلة ما حازه الرافعي، لقد كان في الكتاب طريقه وحده**"[4]. فالرافعي يحمل إحساس المصلح الساعي إلى النصح والإرشاد وتجلى هذا في أسلوبه وزاده رونقا وتميزا.

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج 1، ص14.

[2]: علي الطنطاوي، المرجع السابق، ص 245.

[3]:مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج س، ص 15.

[4]: محمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 439.

المطلب الثاني: جماليات الأفكار في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي

تعد الأفكار السبب الرئيس للكتابة سواء الأدبية منها أو العلمية، ولكنها تتباين وتختلف ولكل مجال خصوصياته ومميزاته، ففي الأسلوب العلمي تكون الفكرة مجردة جافة لا أثر للعاطفة فيها ولا مجال للخيال في تكوينها، لأنه يسعى لتقرير حقائق ووصف ظواهر مع محاولة تبسيطها دون الحاجة إلى التأثير في نفس المتلقي، كون الأسلوب العلمي يخاطب العقل دون العاطفة، أما الكاتب الأدبي فإنه يلجأ إلى الخيال ليصور انفعاله وتأثره، معتمدا على عاطفته ومتحريا في البحث أشكال الفن وألوان الجمال، ليتمخض عن كل هذا كتابة تؤثر في نفس المتلقي وتهز وجدانه، ومن هنا كان عنصر العاطفة صفة مميزة للكتابة الأدبية، إذ" **يعد في الأدب الدافع المباشر إلى القول وروحه**"[1].

ويجب على الكاتب أن يتسلح بالأفكار السليمة والواقعية حتى يخدم مجتمعه ويصلح أدبه، ومن هنا كان الرافعي" **الأديب الكاتب ذي القلم المرهف بلسما للمخلصين من قراء العربية ومنشئيها، وسما قاتلا على أعدائها والكائدين لها**"[2]، وجاءت أفكاره تنشد السمو وتدعوا إلى الارتقاء بالنفس ليصلح الفرد ومنه يصلح المجتمع، وقد عبر الرافعي عن السمو الأدبي فقال"**ربما عابوا السمو الأدبي بأنه قليل ولكن الخير كذلك، وبأنه مخالف ولكن الحق كذلك، وبأنه محير ولكن الحسن كذلك، وبأنه كثير التكاليف ولكن الحرية كذلك**"[3] والأديب الرافعي دائم البحث في أسرار الكون والنفس الإنسانية، يقول الدكتور عبد السلام أقلمون يصف أفكار الرافعي، ويعبر عن هذا المعنى قائلا" **والرجل في بحثه الدائب عن أسرار الجمال والخير يتوسل بكل الطرق، ويطرق أبواب الاجتماع الإنساني، ينقل أفكاره من هنا ومن هناك، فيجعلها تعيش في خياله مدة من الزمن يُكسبها صفة التعالي عن الظرفية المحدودة والأشخاص المعينين، فيخرجها أدبا ساميا يتسلح بالصورة المجازية**

---

[1]: أحمد الشايب، المرجع السابق، ص 52.

[2]: مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 24.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص 06.

والتعبير الشاعري، لتصبح صورة كل زمان وكل مكان وكل إنسان،عوض أن تبقى صورة محلٍ واحد وزمان واحد وإنسان واحد"[1].

فنلمس في أفكاره من خلال كتاب وحي القلم معاني الإصلاح و النصح والإرشاد، وللرافعي العديد من الأفكار الإصلاحية في المجال الديني، وقد خط بيراعه الكثير من المواضيع يدافع فيها عن الإسلام وعلمائه، ويتحدث فيها عن حكمة هذا الدين العظيم وأخلاقه، وهذا أثر من آثار نشأته الدينية التي تلقاها في صغره متنقلا في مكتبة أبيه العامرة بألوان من الروض الزاهي، فتكونت لديه ملكة إنشائية فذة، وجاءت أفكاره مفعمة بالحياة تنم عن أديب عبقري، يقول الرافعي مفرقا بين الذهن الذكي والذهن العبقري قائلا "**والذهن العبقري لا يتخذ المعاني موضوع بحث ونظر وتعقب يستخرج منها أو يتعلق عليها فهذا عمل الذهن الذكي... أما الذهن العبقري فليس له من المعاني إلا مادة عمل فلا تكاد تلابسه حتى تتحول فيه وتنمو وتتنوع وتتساقط له أشكالاً وصوراً في مثل خطرات البرق، وربما غمر بالمعنى الواحد في جماله وسموه وقوة تأثيره مقالات عدة لأولئك الأذكياء فنسخها نسخاً وجعلها منه كالشموع الموقدة إزاء الشمس.**" [2] وهو يحدثنا عن الذهن العبقري يظهر لنا محضن أفكاره، فالأفكار تتربى في ذهنه، يقلبها كيفما يشاء ويعصرها في مخيلته ليفرغ منها الشحنات الزائدة ثم يلبسها جمالا ويمنحها اتزانا، فتغدوا بيانا مقطرا يفيض عبقه على سطور صفحاته، ولقد تطرق الرافعي في كتاباته إلى الكثير من الأفكار الواقعية والتي لها صلة وثيقة بالدين والمجتمع فهو يملك إحساس المصلح الذي يتأثر بما يراه من انحراف في المجتمع، وانتشار للرذيلة نتيجة الابتعاد عن قيم الدين الإسلامي وجوهره، فعالج الكثير من القضايا الاجتماعية كمشكلة الفقر وقضية المرأة والزواج، وعد الرافعي" **أصيل الفكرة في ميدان الإصلاح الاجتماعي، المستمد من استقامة تفكيره، المنطلق من ثقافته الدينية ربطت في سماحة ويسر بين السلوك**

---

[1]: عبد السلام أقلمون، شعرية الإصلاح عند الرافعي، ص60.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 161.

الاجتماعي والأدب الديني وهو في كتاباته التي عالج فيها هذا الموضوع يختلف عنه حينما يكون الموضوع الذي يكتب فيه دفاعا عن اللغة أو تصديا لمن يريد أن ينال من عاداتنا وقيمنا الموروثة عن السلف"[1]. وكان لأفكاره صدى واسع في المجتمع، فالرافعي عرف مكمن الداء، فهو يلاحظه في مجتمع ويقرؤه في صفحات الكتب والمجلات، وعرف موطن الدواء الذي لا يكون إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله والتمسك بهما، فاقرأ له حين يتكلم في مقالة بعنوان "**الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام**" متحدثا عن فضل النبي صلى الله عليه وسلم فيقول "**ومن ثم فنبي البشرية كلها من بعث بالدين أعمالا مفصلة على النفس أدق تفصيل وأوفاه بمصلحتها، فهو يعطي الحياة في كل عصر عقلها العملي الثابت المتجدد المتغير تنظم به أحوال الطبيعة على قصد وهدى، وهذه هي حقيقة الإسلام في أخص معانيه، لا يغني عنه في ذلك دين آخر، ولا يؤدي تأديته في هذه الحاجة أدب ولا علم ولا فلسفة، كأنما هو نبع في الأرض لمعاني النور، بإزاء الشمس نبع النور في السماء.**"[2].

وتنوعت أفكار الرافعي في مجال الإصلاح الاجتماعي وكانت في أغلبها حول موضوع المرأة والزواج والفقر في المجتمع، وعالج العديد من المواضيع التي تخص المرأة حرصا منه على إصلاحها ونصحا لها في ضرورة التمسك بدينها نجد ذلك في عدة مقالات وقصص نذكر منها: تربية لؤلئية، زوجة إمام، احذري...، وسلط الرافعي الضوء على هذا الموضوع باعتباره مسألة حساسة في المجتمع وحقيقة ثابتة فيه، ويتحدث عن حقيقة الفقر وحكمته من خلال ذكر فقر النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره قدوة المسلمين وجب التأسي به في جميع أمورهم، يذكر الدكتور الجوزو "**أن الرافعي ذكر مجموعة من الأفكار التي هي حقيقة ثابتة في المجتمع، وهي الكتابة عن الفقر لا من أجل محوة، بل في سبيل الصبر عليه، والعزاء عنه، وينطلق الرافعي من أفق إيماني لتفسير شيء من**

[1]: مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 25.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص3،4.

حكمة الله، حاضا على عزة النفس، والثقة بالله، والصبر على الفضيلة، وانتزاع الوهم التاريخي القديم الذي نشأ منه معنى الغني والفقير"[1].

يذكر الرافعي كلاما جميلا ويلقي بأفكار جليلة في مقالته "**سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الأعظم**" وهو يتكلم حكمة فقر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الرافعي "**إن فقره صلى الله عليه وسلم كان من أن يتسع في الكون لا في المال، فهو فقر يعد من معجزاته الكبرى التي لم يتنبّه إليها أحد إلى الآن، وهو خاص به ممن أين تدبرته رأيته في حقيقته معجزة تواضعت وغيرت اسمها"[2].**

ومن هنا أراد الرافعي أن يوضح من خلال أفكاره أن الفقر ليس مشكلة في ذاته وإنما المشكل في ذات الإنسان كما هو في المجتمع، لأنهم لم يتراحموا فيما بينهم ويتكاتفوا ويتعاونوا كما أمر ديننا الحنيف، وقد كتب الرافعي العديد من المقالات والقصص بخصوص المرأة وعالج الكثير من المواضيع في هذا الجانب حرصا منه على إصلاحها ونصحا لها في ضرورة التمسك بدينها وبتعاليم الدين الحنيف وقيمه، ومحذرا إياها من خطر الشعارات الزائفة التي ينادي بها العديد من ضعفاء النفوس والعقول، فكانت الفكرة الأساسية هي قضية المرأة بكل جوانبها، كما كان له الكثير من الأفكار الإصلاحية في الجانب السياسي سواء ما تعلق ببعض الأحداث الداخلية لبلده أوفيما يتعلق بمقاومته للاحتلال، وعمله على تقوية العزائم التي تراخت نتيجة هذا المستدمر، كما كان للرافعي دور في إصلاح الرأي السياسي حول القضية الفلسطينية، وكان ينظر للقضية الفلسطينية بأنها قضية إسلامية، فتحدث عن محنة فلسطين في مقالة بعنوان "**أيها المسلمون**" وهي صرخة لإيقاظ ضمير المسلمين يقول الرافعي:" **أيها المسلمون !ليست هذه محنة**

---

[1]:مصطفى الجوزو، الرافعي، ص 66–67، نقلا عن محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي، ص136.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص30.

فلسطين، ولكنها محنة الإسلام، يريدون ألا يثبت شخصيته العزيزة الحرة. كل قرش يُدفع الآن لفلسطين، يذهب إلى هناك؛ ليجاهد هو أيضاً." [1].

وللرافعي أيضا العديد من الأفكار الإصلاحية في الجانب التعليمي، وهي أفكار جاءت لتساير الأحداث التي شهدها الرافعي وكان يشد على يد الطلبة حين طالبوا بضرورة الفصل بين الشبان والفتيات في التعليم في موضوعه بعنوان "**قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر**" يقول الرافعي " **حياكم الله يا شباب الجامعة؛ لقد كتبتم الكلمات التي يصفق لها العالم الإسلامي كله،كلمات ليس فيها شيء جديد على الإسلام، ولكن كل جديد على المسلمين لا يوجد إلا فيها...قوة الأخلاق يا شباب، قوة الأخلاق. إن الخطوة المتقدمة تبدأ من هنا**".[2].

كانت هذه نظرة سريعة على أفكار الرافعي في كتاب وحي القلم والتي تحمل الحس الإصلاحي بفعل توجهه الإسلامي، وقد كان لهذا البعد الإصلاحي لمسة جمالية زادت أدبه جمالا على جمال وجعل أفكاره تتطلع إلى العلياء وتترفع على الصغائر لأن الهدف الأسمى هو النصح والإرشاد.

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص163.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج 3، ص115.

المبحث الثاني: بناء الصورة في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي

يختلف بناء الصورة من أديب لآخر، كل بحسب أفكاره واتجاهاته وقدرته الأدبية في التعبير عن تجاربه وأفكاره، حيث تعد الصورة "**الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة، في معناها الجزئي والكلي**"[1]، وعلى هذا تأتي الصورة محملة بأطياف فكرية، مشبعة بدلالات صاحبها لتعبر عما يعتري وجدانه ويشغل ذهنه، مصاغة في قالب من العمل الإبداعي، لأنها في الأدب جزء من البناء الفني تساهم بذلك في إخراج كتابات الأديب من دائرة الملاحظة المباشرة والتقريرية، إلى مجال الإبداع والتصوير الفني، وقد عرف الرافعي بقدرة عاليه في بناء الصورة، ما عده حلمي مرزوق السبب الرئيس في سمو البيان في أدب الرافعي ،إذ يقول " **فهو أدب يسمو في بيانه إلا حيث يعتوره الغموض والالتواء، وهذا السمو آت من جهة القدرة على التصوير فيما نعتقده** "[2].

فالصورة إذن تمثيل لما في الذهن، وهي مرآة عاكسة لحقيقة الأشياء في ذهن الأديب، وهذا ما ذهب إليه التهانوي بقوله" **في عرف الحكماء وغيرهم تطلق على معان منها: كيفية تحصل في العقل، هي آلة ومرآة لمشاهدة ذي الصورة وهي الشبح والمثال الشبيه بالمتخيل في المرآة، ومنها ما يتميز به الشيء مطلقا سواء كان في الخارج ويسمى صورة خارجية، أوفي الذهن ويسمى صورة ذهنية**"[3].

وقد تحدث الرافعي عن أثر الصورة في سمو الأدب وجودة الأسلوب، وجعل من الأسلوب صورة موسعة تمثل الفضاء الذي يتضمن الألفاظ، حتى تغدوا بهية الطلعة في مظهرها وقوية التأثير في عملها، يقول الرافعي:"**فالكاتب الحق لا يكتب ليكتب ولكنه أداة في يد**

---

[1]: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، 1997، ص 417.

[2]: حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث – في الربع الأول من القرن العشرين– دار النهضة العربية، بيروت، 198، ص376.

[3]: محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، ج2، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996، ص 1100.

القوة المصورة لهذا الوجود، تصور له شيئا من أعمالها فنا من التصوير"[1]، ومنه جاءت الصورة عند الرافعي محملة بدلالة متنوعة، تعبر عن أفكاره وتوجهاته فنجد أثر التوجه الإسلامي بارز جلي في أغلب كتاباته في "وحي القلم"، ومنه نستشعر معنى البعد الإصلاحي عنده، كما عرف الرافعي بغزارة الصورة الفنية في أدبه، واستطاع بذلك أن ينقل أفكاره وعواطفه إلى القراء، كون الصورة تعبر عن "**الشكل الذي يتميز به الشيء**"[2] والصورة الفنية في مجملها تتكون من ركنين أساسيين هما: الخيال والعاطفة بهما تتشكل وعلى أساسهما تتمثل.

أولا: الخيال

يعد الخيال العنصر الأول في تشكيل الصورة وتكونها، فهو يمثل "**قوة تحفظ الصور المرتسمة في الحس المشترك إذا غابت تلك الصورة عن الحواس الباطنة**"[3] فالخيال يختلف من أديب لأخر بحسب قدرته العقلية في رسم الأشياء في مخيلته مع المحافظة عليها في ذهنه حتى يجسدها في كتاباته، وبهذا تتمايز كتابات الأدباء فيما بينهم، فخصوبة الخيال ضروري للأديب فهو يعبر عن قدرته على تصوير الأشياء وتشكيلها حيث أن الخيال المبدع هو "**عملية تشكيل مصورات ليس لها وجود بالفعل، أو القدرة على تشكيلها**"[4]. فالخيال يسهم في الإفصاح عن عواطف الأديب ويعينه في تصوير المشاهد وللخيال عند الرافعي مظاهر عديدة وأشكال متنوعة نركز على أهمها والمتمثلة في : التوليد والتشخيص والمجاز عند الرافعي.

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج1، ص11.

[2]: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ط1، مكتبة لبنان، بيروت،2001 ،ص 276.

[3]: محمد بن علي التهانوي، المرجع السابق، ج1، ص 767.

[4]: مجدي وهبة وكامل المهندس، المرجع السابق، ص 164.

1- التوليد

يشغل هذا العنصر حيزا واسعا في بناء الصورة عند الرافعي، ويحتل مكانة بارزة في أدبه حتى اعتبره الرافعي سر النبوغ في الأدب بقوله:"**فسر النبوغ في الأدب وفي غيره هو التوليد، وسر التوليد في نضج الذهن المهيأ بأدواته العصبية... ويعاد الكلام غير ما كان في نفسه، وتتجدد الدنيا بمعانيها في ذهن كل أديب يفهم الدنيا وتتخذ الأشياء الجارية في العادة غرابة ليست في العادة ويرجع الحقيقي أكثر من حقيقته**"[1].

وقد برع الرافعي في مجال توليد المعاني، فنجده يولد صورة من أختها أي معنى من معنى آخر وقد نجده يولد من المعنى الواحد معاني كثيرة، وهذا زاد أدبه رونقا وجمالا ومثال ذلك قوله: "**وأساس العمل في الإسلام إخضاع الحياة للعقيدة، فتجعلها العقيدة أقوى من الحاجة، فيكون الفقير معدما ويتعفف ويكون الغني موسرا ويتصدق، ويكون الشره طامعا ويمسك ويكون القوي قادرا ويحجم**"[2].

فمن معنى واحد أخر الرافعي معاني عديدة واستطاع أن يشرح لنا بعض عمل العقيدة الإسلامية في حياة المرء المسلم.

2- التشخيص

أدى دور كبير في إبراز الصورة الفنية عند الرافعي، فهو مثلا يلجأ إلى تشخيص بهدف إثبات المعنى في ذهن المتلقي، فيعبر عن أشياء يراها الناس أمرا محسوسا لكن الأديب لا يراها اعتبارا من وجودها وإنما يبحث في جوهره وهذا ما ذهب إليه شوقي ضيف بقوله" **الأديب لا يرى الشيء رؤيتنا له، وإنما يرى روحه وكأن كل شيء تحت بصره وجود آخر غير الوجود الظاهر الذي نراه...**" [3].

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج3، ص 166،167.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج2، ص 6.

[3]: شوقي ضيف، النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976، ص 170.

والتشخيص هو لون من ألوان التخييل يسهم في بناء الصورة، ويؤدي دورا هاما في حايتها ويعرف التشخيص على أنه "**نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة**"[1]، وللرافعي أمثلة كثيرة في "التشخيص" فهو يشخص حال الرجل الزاهد بقوله " **يا أبا عتّاب أنت رجل وحدك تواصل الصوم منذ أربعين سنة فقد قسيت على الدهر، وأصبح الدهر جائعا منك ...**" [2].

3- المجاز عند الرافعي:

عرف الرافعي قبل كتابته في وحي القلم بالتوسع في المجاز، وقد أفضى به في تلك الكتب لدرجة التعقيد والغموض، واستغله خصومه ليرموا الرافعي باللبس والإبهام، فهو" **في غاية أمره أديب مجازي البيان قل ما تتبدى معانيه في غير أزياء الاستعارة وصور التشبيه وما شابههما من وجوه البيان**" [3] إلا أنه في كتاب "وحي القلم" قليل بالمقارنة بكتبه الوجدانية، وهذا أثر من آثار البعد الإصلاحي، حيث أن الرافعي يبعث في كثير من المواضيع برسالة نصح وإرشاد وتوجيه، ولهذا وجب عليه أن يخفف من المجاز حتى يفهمه القراء لأول مرة، ولكن لا يمكن الاستغناء على المجاز لأنه زينة الأدب ومعيار تمييز له عن غيره من الكتابات، والمجاز من أهم سمات الصورة الشعرية به تحيا، وعليه تقوم وتتشكل، ويتمثل في التشبيه والتمثيل والاستعارة وهذه "**أصول كثيرة كان جل محاسن الكلام، إن لم نقل كلها متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها**"[4]

---

[1]: مجدي وهبة وكامل المهندس، المرجع السابق، ص 102 .

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص99.

[3]: حلمي مرزوق، المرجع السابق، ص 376.

[4]: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988، ص 20.

أ- **التشبيه:** والرافعي يعتمد كثيرا في تشكيل الصورة في أدبه على التشبيه، ويكثر من استخدامه، وقد أضفى التشبيه جمالا ورونقا على أدبه، فنجده يصف نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول "**و لكأنما خرجت هذه النفس من صيغة كصيغة الدرة في عرقه، وهي النفس الاجتماعية الكبرى، من أين تدبرتها رأيتها على الإنسانية كالشمس في الأفق الأعلى تنبسط وتضحى**"[1]، فشبه نفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالدر المكنون المحفوظ، وشبهها بالشمس في ضحاها ساطعة منيرة، فكما جاءت الشمس لتكشف الظلام، جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليظهر الحق للإنسانية جمعاء.

ب- **الإستعارة:** ازدان أدب الرافعي أيضا بكثرة الاستعارة وتعددها، وقد أسهمت بشكل كبير في تكوين الصورة في أدب الرافعي، والاستعارة هي"**استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي**"[2]. ومن أمثلة الاستعارة قوله في مقالة "**أيها المسلمون**" متحدثا عن قوة الإسلام فيقول "**قوة تخرج سلاحها بنفسها**"[3].

وقد استخدم الرافعي الكثير من الأساليب المجازية التي ازدانت كتاباته بها وزادتها رونقا وجمالا، وإن كان كتاب وحي القلم أكثر وضوحا وأسهل تعبيرا، لأنه يخاطب المجتمع بأطيافه المتعددة، ومراتبه المختلفة وهو يؤدي إليهم رسالة إصلاح في الكثير من مواضيع كتابه أملا في وضع أفضل وغد أكثر إشراقا.

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص4.

[2]: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت،ص258.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج س، ص153.

المطلب الثاني: العاطفة عند الرافعي في خطاباته الإصلاحية:

العاطفة هي حلة الأديب وزينة أدبه، وهي مرآة عاكسة لشعور الأديب وما يختلج دواخله، تلهمه التعبير وتوقد إحساسه وتلهب خياله، ويترتب على وجود العاطفة "**الميل إلى الشيء أو الانصراف عنه**"[1]. وتشرح العاطفة خواص الصورة وتعبر عن حياتها، وتسهم بشكل كبير في جماليتها واكتمالها، فالأديب ينفعل بما حوله ويتأثر ومن هنا وجب على الأديب أن يكون صادقا في عاطفته وهذا أول شرط، وكلما كان الأديب يصف تجربة ما أو يعبر عن موضوع معين يود فيه النصح أو الإصلاح كلما كانت العاطفة صادقة وواقعية، وهذا ما نلحظه في الموضوعات الإصلاحية التي تطرق إليها الرافعي في كتاب وحي القلم والتي سعى من خلالها للنصح والإرشاد، ويمكن تلخيص أهم مميزات العاطفة عند الرافعي من خلال العناصر الآتية:

أولا: صدق العاطفة واعتدالها

قلنا بأن الرافعي تميز بتوجهه الإسلامي في كتاباته ما أثمر بعدا إصلاحيا سعى من خلاله للتعبير عن آرائه بصدق حاملا بذلك رسالة نصح للمسلمين، يوضح من خلالها ضرورة التمسك بديننا الحنيف حتى ننجو ونفوز، وتميزت كتابات الرافعي الإصلاحية عموما في كتاب "وحي القلم" بالقوة في قول الحق ومن هنا كانت الأسباب التي أثارت عاطفته" **أسباب صحيحة جيدة**" [2]، فهو لم يخش أحدا ولم يهتم لمنصب أحد أو رتبته "**فالرجل في منعة من ربه وحده... كان يعارض أكبر وزير إذ شهد منه انحرافا في الرأي، ويتصدى لأصحاب الأمر والنهي بسيف لا يفل، ويصدع بكلمة الله جهيرة رنانة**"[3]. ويتجلى من خلال الخطابات الإصلاحية عند الرافعي كيف أنه لم يجامل ولم

---

[1]: مجدي وهبة وكامل المهندس، المرجع السابق ، ص242.

[2]: أحمد أمين، النقد الأدبي، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952، ص30.

[3]: محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص 127.

يتلطف إلى أحد، خاصة إذا كان ذلك على حساب الدين أو اللغة فنقرأ له قوله" **وأنا رجل ليس فيّ أكثر مما فيّ، كالنجم يستحيل أن يكون فيه مستنقع؛ فما أعلم في طبيعتي موضعا للنفاق تتحول فيه البصلة إلى تفاحة، ولا مكانًا من الخوف تنقلب فيه التفاحة إلى بصلة، ولست أهدي من كتبي إلا إحدى هديتين: فإما التحية لمن أثق بأدبهم وكفايتهم وسلامة قلوبهم، وإما إنذار حرب لغير هؤلاء !**" [1].

ومن أمثلة صدق عاطفة الرافعي، نجد نصحه للمرأة المسلمة ودعوته إياها للتمسك بحجابها وأخلاقها، حتى تحفظ فضائلها وتحفظ دينها، يخاطبها قائلا" **أيتها الفتاة، إن صدق الحياة تحت مظاهرها، لا في مظاهرها التي تكذب أكثر مما تصدق؛ فساعدي الطبيعة واحجُبي أخلاقكِ عن الرجل؛ لتعمل هذه الطبيعة فيه بقوتين دافعتين: منها ومنك، فيسرع انقلابه إليك وبحثه عنك؛ وقد يجد الفاسق فاسقات وبغايا، ولكن الرجل الصحيح الرجولة لن يجد غيرك.**" [2]، فهو ينصحها بصدق حتى تسعد في حياتها، ونجده في موضع آخر يحذر المرأة المسلمة ممن يريدون لها السفور والتفسخ الأخلاقي بقوله "**احذري أيتها الشرقية وبالغي في الحذر، واجعلي أخص طباعك الحذر وحده**"[3]،

فالرافعي ينصح ويحذر لأنه يعلم خطر المغرضين الذين يسعون لنزع فضيلة المرأة المسلمة وذلك بإغرائها لتقليد الأوربية التي خسرت كل شيء، والرافعي متحرر من قيود التكلف التي قيدت العديد من كتاب وأدباء عصره، الذين لم يصدقوا في الكثير من كتاباتهم إما خوفا أو مجاملة لأحدهم، وقد اشتمل العصر الذي عايشه الرافعي "**على بيئات مختلفات لا تجمع بينها صلة من صلات الثقافة غير اللغة العربية لتي كانت لغة الكاتبين والناظمين جميعا**"[4]، أما الرافعي فيخبر عن نفسه ويحدد موقفه ممن يتخذون

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ،ج3، ص132.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه ،ج1، ص147.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه ،ج ن، ص 194.

[4]: عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم، مطبعة حجازي، القاهرة، سنة1937، ص 3.

الأدب صنعة للكسب ولتحقيق أغراض شخصية قائلا "**أنا أمرؤ سيد في نفسي، وأنا رجل صدق، ولست كهؤلاء الذين لا يتأثمون ولا يتذممون، فإن خضت في مثل هذا انتفض طبعي وضعفت استطاعتي وتبين النقص فيما أكتب، ونزلت في الجهتين..**" [1].

ومن الأمثلة الأخرى عن صدق عاطفة الرافعي حديثه عن الفقراء والمحتاجين وهو يصور آلامهم ويرثي حالهم ويعبر عن مصابهم، فيصف لنا حال طفلين يتيمين رآهما نائمين على رصيف الشارع في قصة بعنوان "**أحلام في الشارع**"، يقول الرافعي" **تحت يد الأخت الممدودة ينام الطفل المسكين، ومن شعوره بهذه اليد خفّ ثقل الدنيا على قلبه. لم يبال أن نبذه العالم كله، مادام يجد في أخته عالم قلبه الصغير. وكأنه فرخ من فراخ الطير في عشه المعلق، وقد جمع لحمه الغض الأحمر تحت جناح أمه، فأحس أهنأ السعادة حين ضيّق في نفسه الكون العظيم وجعله وجوداً من الريش. وكذلك سعيد من كل من يملك قوة تغيير الحقائق وتبديلها...**" [2].

فالرافعي يحس بهاته الفئة المحرومة ويعبر عنها بصدق، وقد عبرت هذه الأمثلة عن تلك العواطف الصادقة التي تبرز في كتاباته جاءت لتعبر عن إحساس الرافعي ومشاعره الصادقة في كتاباته.

ثانيا: تنوع العاطفة

يرجع سبب تنوع العاطفة عند الرافعي، لاختلاف الأحداث التي شهدها في عصره وتعدّدها، فكان يتفاعل مع الأحداث بصدق مشاعره، ما أكسبه تجربة طويلة في ميدان الأدب سواء في النثر أو في الشعر أو النقد، وكان يساير أحداث عصره ويتفاعل معها، ما أكسبه "**شأن عظيم في مضمار حياة الأمة والفكر والعصر الحديث، إذ استطاع معاصرة**

[1]:مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 137.

[2]:مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج 1، ص 59.

الأحداث والنظر في الأنواء، وتقلب في تفسير سائر ظاهرات الحياة الجديدة بالإيضاح والسلوك وراض ما قد طاف بأيام الثقافة والمدنية والحضارة عند العرب"[1].

وقد عبر الرافعي في كتاباته عن الكثير من الأحداث وتفاعل معها، فظهرت عواطف متعددة ومتنوعة، فنجد عاطفة الفرح والابتهاج، ونجد عاطفة الفخر والإحساس بالعز والشرف حين يتكلم عن الدين الإسلامي أو عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الفتوحات الإسلامية، ويتحدث الرافعي عن صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مقالة بعنوان "الإنسانية العليا" فيقول: "**ولن ترى في الإنسانية أسمى من اجتماع هذه الصفات بعضها إلى بعض وإني لأكاد كلما تأملتها أحسب هذا السمو وقدرا بإنسان على الإنسانية كلها، وهي دليل على أنه الإنسان الذي خلق للدنيا لا لنفسه ...**" [2].

كما نجد أيضا عاطفة الاستعطاف في مقالة "أحلام في الشارع" وفي مقالة "عربة اللقطاء" ونجد أيضا عاطفة الألم والحزن في مقالة "عروس تزف إلى قبرها" و"يتيم أم" ونجد عاطفة ثائرة في "أيها المسلمون" "يا شباب العرب"، وهذا التنوع العاطفي يُحسب للكاتب ويضاف إلى رصيده فهو دليل على قوة الأديب وإبداعه، إذ يجب أن " **تكون العواطف خصبة غنية متنوعة، فقد يشتهر الأديب ويعظم أمره وهو مع ذلك مفتقر لهذه الصفة، نعني كثرة التجارب التي تجعل في استطاعته إذا تعرض لنوع من العاطفة ما أن يستوفي الكلام فيها كما يستطيع أن ينوع كتابته...**" [3].

ومنه كان هذا التنوع العاطفي دليل آخر على تمكن الرافعي واعتلائه عرش البيان في الأدب، إذ أن تنوع عواطفه هو من تنوع موضوعاته، ومتابعته لأحداث عصره، مما يُبرز بعده الإصلاحي ليس في موضوع فقط وإنما في العديد من مواضيع الحياة في عصره.

---

[1]:مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، ص 12–13.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص25.

[3]: أحمد أمين، المرجع السابق، ص33.

ثالثا: قوة العاطفة وحيويتها

من بين ما عرف على الرافعي أنه كان قوي الأسلوب، فصيح اللغة، ذو حجة قوية، فجاءت عاطفته لتخدم كل ذلك، لأن قوة العاطفة وحيويتها هي من قوة الأسلوب نفسه، فالرافعي "**يتوغل في أعماق النفس، ليصف المشاعر الإنسانية وانفعالاتها، حتى تأتي العاطفة مع الخيال ليشكلا الصورة النفسية، فيبرز الجانب النفسي للأديب فتأتي العاطفة دفاقة قوية لتسمو بالنص إلى حالة من الصدق الفني**"[1].

وتظهر قوة عاطفته من خلال كتاباته، سواء ما جاء منها على شكل مقال أو قصة، فنجد الرافعي يصف لنا معنى الصلاة في مقالة بعنوان "حقيقة المسلم " يقول الرافعي:"**هي لحظات من الحياة كل يوم في غير أشياء هذه الدنيا، لجمع الشهوات وتقييدها بين وقت وآخر بسلاسلها وأغلالها من حركات الصلاة، ولتمزيق الفناء خمس مرات كل يوم عن النفس فيرى المسلم من ورائه حقيقة الخلود، فتشعر الروح أنها تنمو وتشع**"[2]، فيجعلنا الرافعي نعايش معه كيفية الصلاة، ونحس كيف أن الصلاة تحرر المسلم من مشاكل الدنيا وأعبائها، وتظهر قوة العاطفة عند الرافعي في قصصه أيضا بشكل واضح جلي، يقول الرافعي في "قصة اليمامة" يصف أحوال المسلمين أيام الفتوحات"**كيف لا تفتح الدنيا على قوم لا يحاربون الأمم، بل يحاربون ما فيها من الظلم والكفر والرذيلة، وهم خارجون من الصحراء بطبيعة قوية كطبيعة الموج في المد المرتفع؛ ليس في داخلها إلا أنفس مندفعة إلى الخارج عنها؛ ثم يقاتلون بهذه الطبيعة أممًا ليس في الداخل منها إلا النفوس المستعدة أن تهرب إلى الداخل...!**" [3].

---

[1]:محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي، مذكرة ماجستير، تحت اشراف جبير صالح حمادي الفرغولي ، الجامعة العراقية، بغداد 2012، ص 175.

[2]:مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص 9.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج1، ص 18.

فقد جعلنا الرافعي نتخيل قوة المسلمين وسماحة أخلاقهم، وهذا غيض من فيض تظهر من خلاله قوة العاطفة عند الرافعي، حيث أبدع الرافعي فنونا من القول وأنساقا من المعاني محملة بعواطف متماسكة متدفقة.

رابعا: استمرار العاطفة وثباتها

وهذا يعني أن العاطفة تكون ثابتة متواصلة في الموضوع لا تنقطع ولا تنفصل، ولهذا معنيان" **الأول بقاء أثرها في النفوس وفي الذاكرة طويلا، والمعنى الآخر أن تكون القطعة الأدبية تثير شعورا متسلسلا متجانسا** "[1] وكل هذا دليل آخر على قوة العاطفة، فإذا كانت العاطفة قوية كانت ديمومتها أطول، وكلما كانت صادقة أسهم ذلك في استمرارها، لأن الكاتب لا يتكلف في إظهار عواطفه، وإنما تأتي عفويا لتعبر عن شعور الكاتب وإحساسه، وأمثلة ثبات العاطفة عند الرافعي كثيرة ومتعددة فنجده محذرا للمرأة المسلمة ناصحا لها، مكررا عبارة "احذري" حتى ينهي بها مقاله، وتظهر أيضا استمرارية العاطفة في مقالة "أيها المسلمون" وفي مقالة "يا شباب العرب" يقول الرافعي" **فالقوة القوة يا شباب...القوة الفاضلة المتسامية...القوة الصارمة النفاذة...يا شباب العرب اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزا، وإما أن تموتوا**" [2].

ونجد الرافعي يشد على يد الشباب الذين دعوا إلى الإصلاح في التعليم في الجامعة، وتظهر هنا أيضا استمرارية العاطفة وثباتها في موضوعه الذي بعنوان "قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر" وهو يشد على يد الشباب ويمدح موقفهم، نقرأ للرافعي قوله:" **حياكم الله يا شباب الجامعة؛ لقد كتبتم الكلمات التي يصفق لها العالم الإسلاميُّ كله كلمات ليس فيها شيء جديد على الإسلام، ولكن كل جديد على المسلمين لا يوجد إلا فيها، كلمات**

[1]: أحمد أمين، المرجع السابق، ص33.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج2، ص158.

القوة الروحية ...كلمات الشباب الطاهر ...كلمات ليست قوانين...قوة الأخلاق يا شباب، قوة الأخلاق"[1].

لقد تنوعت عاطفة الرافعي وتعددت بحسب المواضيع التي فرضتها الأحداث السائدة في مجتمعه وأهم ما ميز عاطفة الرافعي هو صدق العاطفة وقوتها وأدى كل ذلك دورا في ثباتها واستمرارها، ما أضفى قوة مضافة لقوة أسلوبه وأسهمت في رقي أدب الرافعي، إذ أن "**الأدب الراقي ينبغي أن تكون له صفة أخلاقية، ويجب أن يثير مشاعرنا الصحيحة لا المريضة، وينمي طبيعتنا**"[2]، وقد استعرضنا بعض الأمثلة من موضوعات تحمل ذلك الحس الإصلاحي الذي تميز به الرافعي وفرضه عليه توجهه الإسلامي في كتاباته.

المبحث الثالث: جماليات اللغة في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي

اللغة عند الأديب رمز من رموز تفوقه الأدبي، وعنصر مهم من عناصر الأسلوب لا يتم إلا بها، ولا تذكر جودته إلا بجودتها، كما أنها "**وسيلة للتعبير و التفاهم وتبادل الآراء والأفكار**"[3]، و تمتاز لغة الرافعي بالفخامة والقوة، وهذا نلحظه أيضا في خطاباته ذات البعد الإصلاحي، فالقارئ يجد نفسه ملزما بالتفكير وتشغيل عقله حتى يفهم ما يرمي إليه الرافعي من معان، كون البلاغة والإبداع في الكتابة تلزم القارئ للتمعن.

وقد تأثر الرافعي بالقرآن الكريم وبلاغته وأخذ يتمعن في أسلوبه ولغته، فظهر ذلك في كتاباته وهذا سر نبوغه وتميزه، **فقد عمد الرافعي إلى ذلك يثري معلوماته اللغوية بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ومواقف الأعلام في التاريخ الإسلامي وحفظ أكبر قدرمن شعر القدامى والمحدثين وخطب العرب ومحاوراتهم ومنافراتهم في الجاهلية،**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص115.

[2]: أحمد أمين، المرجع السابق، ص34.

[3]: نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، دط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978، ص11.

ودررهم الخطابية في الإسلام"[1]، ونجد في كتابات الرافعي الكثير من العبارات التي تدل على تأثره بلغة العرب القدامى، كما عرف على الرافعي توسعه في مجال بناء الجملة ولو أراد أحد "**من أهل البيان أن يتتبع ما أجد الرافعي على العربية من أساليب القول، لأخرج قاموسا من التعبير الجميل يعجز عن أن يجد مثله لكاتب من كتاب العربية الأولين**" [2]، وقد بدا الأثر الجمالي للبعد الإصلاحي من ناحية اللغة عند الرافعي في عنصرين أساسيين الأول تمثل في الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، والثاني تمثل في دعوة الرافعي للإصلاح اللغوي وتجلى من خلال موقفه من اللغة العامية، وكان لهذا الأثر الواضح في بحث الرافعي أن أجود الأساليب اللغوية،وتفضيله للفصيح منها،وقد تجلى ذلك في كتاباته وزادها رونقا وجمالا.

المطلب الأول: الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة

أخذت ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حيزا كبيرا في أدب الرافعي، كيف لا يكون ذلك والرافعي قد بحث في إعجاز القرآن الكريم وأخذ يتجلى بلاغة الحديث النبوي ويستشف من معانيهما الجليلة لينشأ أدبا راقيا، ولو راح أحد يبحث في أثر القرآن في أدب الرافعي لأنجز بحوثا في هذا الصدد" **فالرافعي يستلهم في أدبه من المعجم القرآني، ومن السنة النبوية الشريفة، ومن تراث الأدب العربي، ولهذا نجده في الكثير من المواطن يعتمد لفظة أو عبارة من القرآن الكريم أو جملة من الحديث النبوي الشريف، أو يورد حكمة أو مأثورا من قول العرب**"[3]، وهذا دليل على سعة إطلاعه وتأثره بما يقتبس منه، وقد جعل الكثير من النقاد في العصر الحديث الاقتباس والتضمين ضمن

---

[1]: مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص24.

[2]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص 226.

[3]: ينظر أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر– من أوائل القرن التاسع عشر إل قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، ص388.

دائرة مصطلح التناص، والتناص "**ليس مجرد عملية لغوية مجانية، وإنما له وظائف متعددة تختلف أهمية وتأثيرا بحسب مواقف المتناص ومقاصده**"[1]. ونجد ظاهرة الاستشهاد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بارزة جلية في كثير من كتابات الرافعي، وبخاصة في قصصه التي يسعى من خلالها إلى معالجة مشكلات عصره، وتقديم الحل الناجع والدواء الشافي من الكتاب والسنة، فالاستشهاد إذن شكل صريح من أشكال التناص، أين نجد الآية القرآنية أو الحديث الشريف في سياق الكلام، يقدمه المتحدث ليثبت صحة كلامه، وموافقته للدين الحنيف وللاستشهاد علامات تدل عليه، ومن أمثلة الاستشهاد بالقرآن الكريم في أدب الرافعي حديثه على لسان الشيخ "سعيد بن المسيب" في قصة زواج وفلسفة المهر، حيث راح الشيخ يشرح معنى الصداق وحكمة الإسلام فيه، ونهيه عن المغالاة في المهور إلى أن "**صاح رجل في المجلس: أيها الشيخ أفي هذا من دليل وأثر**"[2]. فأخذ الشيخ يستشهد بكلام الله تعالى وبالحديث النبوي الشريف معللا وشارحا نقرأ في هذا الصدد"**قال الشيخ: نعم؛ أما من كتاب الله فقد قال الله تعالى: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [النساء: 1]. فهي زوجُه حين تجده هو لا حين تجد ماله؛ وهي زوجه حين تتممه لا حين تنقصه، وحين تلائمه لا حين تختلف عليه... وأما من كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقد روينا: "إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير." فقد اشترط الدين، على أن يكون مرضيّاً لا أي الدين كان؛ ثم اشترط الأمانة... فإن ردت المرأة من هذه حاله وصفته من أجل المهر، تقدم إليها بالمهر من ليست هذه حاله وصفته، فوقعت الفتنة،**

---

[1]: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)،ط1، المركز الثقافي العربي،1985، ص 132.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج1، ص 87.

وفسدت المرأة بالرجل، وفسد هو بها، وفسد النسل بهما جميعاً، وأهمل من لا يملك، وتعنست من لا تجد، ويرجع المهر الذي هو سبب الزواج سبباً في منعه..." [1].

فالرافعي يسعى بالاستشهاد ليظهر حكمة الإسلام في تقرير الأمور حتى يتعظ الناس ويرجعوا إلى جادة الصواب، وليظهر من جهة أخرى الثقافة الدينية لهذه الشخصيات.

كما نجد ظاهرة التناص اللفظي في أدب الرافعي، أي التناص من خلال مفردة واحدة ارتبط ذكرها بالقرآن الكريم مثل قوله في قصة "اليمامة" على لسان شخصية أرمانوسة حين كانت تخاطب صديقتها مارية وتوضح لها بعض أخلاق المسلمين فاستروحت بذلك مارية "**فلا ضير علينا إذا فتحوا البلد، ولا يكون ما نستضر به؟ قالت أرمانوسة: لا ضير يا مارية، ولا يكون إلا ما نحب لأنفسنا؛ فالمسلمون ليسوا كهؤلاء العلوج من الروم، يفهمون متاع الدنيا بفكرة الحرص عليه، والحاجة إلى حلاله وحرامه، فهم القساة الغلاظ المستكلِبون كالبهائم؛ ولكنهم يفهمون متاع الدنيا بفكرة الاستغناء عنه والتمييز بين حلاله وحرامه، فهم الإنسانيون الرحماء المتعففون**"[2]، فالرافعي هنا كرر لفظة "لا ضير" مرتين وقد ارتبطت الكلمة بالآية الكريمة التي تصف لنا موقف سحرة فرعون حين رأوا الحق من ربهم فأسلموا لله الواحد القهار وتابوا إليه قال تعالى "« **قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ** »(3).

كما نجد ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، كون الرافعي أخذ يستشف من معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فتجلى أثر ذلك في كتاباته ومنحها رونقا وسموا، نذكر مثال على ذلك قوله "**فلما عسعس الليل رميت بنفسي فنمت**

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج س، ص س.

[2]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر نفسه، ج 1، ص 15.

[3]: سورة الشعراء، الآية 50.

والعقل يقظان"[1]. قوله "عسعس الليل" مقتبس من قوله تعالى :« **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** »"[2] ولقد برز أيضا الاقتباس من الحديث النبوي الشريف في أدب الرافعي، ويظهر مدى تعلقه به والاستشفاف الذوقي لمعانيه، نجد قوله :" **إن العالم الذي يكتم علمه النافع عن الناس يجيء يوم القيامة ملجما**"[3]،وهذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم "**من سُئل عن علم يَعلمُه فكَتمهُ، أُلجمَ يوم القيامة بلجَام من نار**"[4]. وأمثلة الاقتباسات في القرآن والحديث النبوي الشريف كثيرة في أدب الرافعي، وقد أضفت هذه الاقتباسات مسحة جمالية وبلاغة لغوية منحت أدب الرافعي الحياةوزادته رونقا ورفعة وسموا ما انعكس على أسلوبه الأدبي ككل، ويكف أن نورد تعريف الرافعي للأدب والأديب على ضوء القرآن الكريم ليظهر مدى اطلاع الرافعي على كتاب الله تعالى وبحثه في أسلوبه المعجز ومعانيه العظيمة، يقول الرافعي"**والقرآن بأسلوبه ومعانيه وأغراضه لا يستخرج منه للأدب إلا تعريف واحد هو هذا: إن الأدب هو السمو بضمير الأمة، ولا يستخرج منه للأديب إلا تعريف واحد هو هذا: إن الأديب هو من كان لأمته وللغته في مواهب قلمه لقب من ألقاب التاريخ**"[5]، فالقرآن الكريم هو دستور الحياة، يستنير به المسلم ويهتدي به في جميع مجالات حياته .

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج س، ص 133.

[2]: سورة التكوير، الآية 17.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 285.

[4]: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج1، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ص98.

[5]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق ، ج3، ص 158،159.

المطلب الثاني: الدعوة إلى ضرورة الإصلاح اللغوي

ندرج هذا العنصر في مجال جمالية لغة الرافعي كون الإصلاح اللغوي أسهم بشكل كبير في بحث الرافعي عن الأفصح من القول وتحريه الأصح والأجمل منه وقد أحب الرافعي اللغة العربية ودافع عنها كونها جزء من هوية الأمة الإسلامية، وانبرى بقلمه يرد أوهام كل من يتجرأ عليها أو يحاول الانتقاص من قدرها، ومبينا من جهة أخرى مكانتها ورفعة شأنها، كما دعا إلى ضرورة " **الإصلاح اللغوي بعد أن اشتهر أن العجمة قد غلبت على ذوق العصر وأن العامية تفشت فيه**"[1]، معتمدا على أسلوبه الرفيع ولغته الراقية التي تنم عن مدى تمكن الرافعي من زمام اللغة وإحاطته بأساليبها، فالكتابة عند الرافعي "**لم تكن فكرة ومعنى وعاطفة فحسب، بل كانت إلى ذلك فنا وأسلوبا وصناعة، والأدب العربي منذ كان إلى أن يطوى تاريخه بين دفتين هو فكر وبيان**"[2]. فظهرت لغة الرافعي راقية، متينة البناء متماسكة النظم، التزم فيها الرافعي بقواعد النحو وأصوله، ما جعل منه ملك البيان العربي، يقول في هذا الصدد صديقه سعيد العريان "**كان إلمامه بمتن اللغة وإحاطته بأساليب العربية ومعرفته بالفروق اللغوية في مترادف الكلام معينا له عونا كبيرا على البلوغ بعباراته هذا المبلغ من البيان الرفيع**"[3]. ومع ذلك لم يتخذها وسيلة للبهرجة والزينة، بل عمد على الإصلاح اللغوي من خلال موقفه من اللغة العامية، وكان يرى في دعاة العامية معاول هدم وتقويض لأركان الأمة الإسلامية، كون اللغة جزء من كيان الأمة و هويتها ووسيلة لفهم دينها، وقد كانت هذه الفئة التي تنادي بالعامية " **تتحمس لها وتطالب بجعلها لغة للكتابة ومن عجب أن هؤلاء الذين كانوا يتحمسون لها كانت كل كتاباتهم بالعربية الفصيحة، وكان هناك من ينادي بالفرعونية مذهبا وقومية محاولا أن**

---

[1]: حلمي مرزوق، المرجع السابق، ص 370.

[2]: محمد سعيد العريان، المرجع السابق، ص 222.

[3]: محمد سعيد العريان، المرجع نفسه، ص 226.

يقطع كل صلة بين مصر العربية لغة ودما وحضارة وفكرا، وبقية جسم الأمة العربية... وكان هؤلاء 'المتفرعنون' يعملون بلا شك لحساب الاستعمار الذي قطع أوشاج الأرض العربية وخلق حدودا مصطنعة في أرض الوطن الكبير وقسم الأمة العربية أحزابا وشيعاً"[1].

وقد أدرك الرافعي خطر هؤلاء الذين تأثروا بالغرب وورثوا فكر الاستدمار الذي سعى بشتى السبل ومختلف الأساليب لتشويه صورة اللغة العربية وإبعاد أهلها عنها، حيث " **امتدت يد الإنجليز للغة العربية في كل مكان، ولم يبق إلا مدرسة واحدة ظلت اللغة العربية فيها تتمتع بشيء من القوة النسبية، تلك هي (دار العلوم)**"[2]، وراحوا ينفثون سمومهم محاولين بذلك النيل من أصالة اللغة العربية، وانبرى الرافعي يرد عليهم ويدحض شبهتهم بالحجة الدامغة والبرهان الساطع، موضحا أن محاربة اللغة هي جزء من خطط الاستعمار إذ يقول:"**لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين؛ فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله،وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده؛ فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكرة حتى أن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء..** " [3].

ثم إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم قال تعالى« **وكذلك أنزلناه حكما عربيا** » [4] وقال أيضا « **بلسان عربي مبين** » [1]، فتتشرف اللغة العربية أنها لغة القرآن وتعلوا

---

[1]: مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 36.

[2]: عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج2، دار الفكر، د س، ص41.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج3، ص 22.

[4]: سورة الرعد، الآية رقم37.

على أن تكون لغة عادية كباقي لغات العالم، فهي رمز من رموز هذا الدين العظيم وسر من أسرار المعجزة الخالدة–القرآن الكريم– فقد صارت اللغة العربية مشتركة بين كل المسلمين، وإن اختلفت الأقطار وتباعدت بينهم البلدان، ولطالما كانت اللغة العربية أرفع لغات العالم ومبعث الإشراق والتطور، وعبرت عن الثقافة العربية أحسن تعبير ومثلتها أروع تمثيل "**حينما كانت سيدة اللغات في العالم كله لمدة ثمانية قرون كاملة وكان الأوربي الذي لا يعرف العربية يعدُّ إنسانا جاهلا متخلفا متأخرا**"[2]، وأجمل ما في إدراك الرافعي ووعيه بالخطر الذي يحدق باللغة العربية أنه يربط الحرب على اللغة بالحرب على الدين ولهذا رفع لواء الدفاع عن اللغة وسعى إلى إصلاحها وصرخ في وجه المستعمر صرخة مجاهد مدافع عن قيمة وهويته، وعلم أن اللغة صورة حية لوجود الأمة تعلوا إذا علت الأمة وتنحط بانحطاطها، لأن هوان اللغة من هوان الأمة نفسها، فاللغة للجميع يشترك فيها الكل يجمعهم الدين الإسلامي إخوة فيه لا فرق بينهم إلا بالتقوى، وكلما اجتهدت الأمة في استعمال اللغة وتنافسوا في فصاحتها كان ذلك خيرا عليهم وبركة، إذ أن للغة مستويات فهناك المستوى العادي وهو "**ما يتواضع عليه القوم في الكلام**"[3]، وكلما زاد اجتهاد الأفراد وتحررهم للغة لكشف خفاياها وخباياها مع لمسة إبداعية من عبقري أريب يكون المستوى الفني للغة الذي يعد شرطا أساسيا في العمل الأدبي"**حيث يعمل الأديب على تشكيلها تشكيلا خاصا، يرفعها عما جرى عليه الناس من محاوراتهم ومخاطباتهم، ويهبها–بهذا التشكيل الجديد–خصوصية تجعلها لغة متميزة، تتجاوز مرتبة الإفهام إلى مرتبة التأثير**" [4]،وكلما اجتهدت الأمة في لغتها كان ذلك دليلا على تحررهم وطموحهم في نيل الأفضل، وهذا ما ذهب إليه الرافعي مبينا أن الأمة الناهضة بلغتها هي الأمة الرائدة المقاومة التي لا

---

[1]: سورة الشعراء، الآية رقم195.

[2]: مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 39.

[3]: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1982، ص48.

[4]: نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي بين التحرر والجمود، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، بغداد،1984 ص17.

ترضى الخنوع ولا الرضوخ لأي دعوى مغرضة أو فكر منحرف سواء أكان من المستعمر أو غيره، لأن المستعمر يسعى من وراء محاربة اللغة إلى محاربة الدين، وإذا استكانت الأمة وضعفت كانت ذلك إيذانا بتخلفها يقول الرافعي:"**وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمَر...** "[1].

وكل هذا أسهم بشكل جلي في اجتهاد الرافعي وبحثه المتواصل في أساليب اللغة وأسرارها و"**ظل مؤمنا بالميراث العربي في لغته وآدابه وأن نهضة العرب لا تقوم إلا على أساس وطيد من الدين وعربيته الفصحى السليمة**"[2]، وبالتمسك بالدين يكون النصر، نقرأ قول الرافعي" **وهذه الأمة الدينية التي يكون واجبها أن تَشرُف وتسُودَ وتعتَز، يكون واجب هذا الواجب فيها أن لا تسقط ولا تخضع ولا تذل**"[3].

وقد أسهم الموقف الحازم الذي اتخذه الرافعي من دعاة العامية والرطانة الأجنبية في جمالية لغته وبحثه المتواصل عن الفصيح منها، ما جعل منه ثقة في فنون اللغة عارفا بأساليبها، وما الدفاع عن اللغة العربية والذود عن حماها إلا دليل على تمكن الأديب ونفاذ بصيرته، فيكفيها شرفا أنها لغة القرآن التي تجمع أبناء الأمة الواحدة على الدين الواحد لعبادة رب واحد.

---

[1]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج 3، ص 22.

[2]: شوقي ضيف، المرجع السابق، ص244.

[3]: مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ج س، ص23.

خاتمة

خاتمة:

تعددت كتابات الرافعي وتنوعت مواضيعها ، كونه بدء حياته الأدبية شاعرا ثم كاتبا بارعا، ولكن ظل أهم ما يميزها تلك الكتابات النثرية ذات التوجه الإسلامي، والتي تحمل بين طياتها إحساس المصلح الذي لا يرضيه ما يحصل في مجتمعه من اختلال وانقسام ، فعبر الرافعي بلسان الحال عن تلك الفترة التي عايشها، وبقيت كتاباته شاهدة على ما خط يراعه في سبيل الدفاع عن الإسلام وعن اللغة العربية، فما إن يمتشق قلمه إلا وتتهاوى تلك الصروح الورقية للمغرضين أعداء الدين، فيرد كيدهم ويدحض شبههم بالحجة الدامغة و البرهان الساطع، وقد أضفى البعد الإصلاحي عند الرافعي رونقا وجمالا في أدب الرافعي، وأسهم في تبسط الرافعي في أسلوبه لمعرفة حق قرائه عليه، كونه ناصحا للأمة بمختلف أطيافها وتفاوت مستواها الثقافي، ويمكن تحديد أهم النتائج المستخلصة من الدراسة في النقاط الآتية:

- برز البعد الإصلاحي عند الرافعي من خلال توجهه الإسلامي الذي طبع العديد من كتاباته النثرية ، فنجده مرة ناصحا مرشدا يذكر المسلمين بتعاليم وقيم ديننا الحنيف، ونجده في أخرى يدافع عن الإسلام ويبين مكانة شعائر الإسلام في حياة المسلم.
- تجلى البعد الإصلاحي عند الرافعي بشكل واسع في كتاب وحي القلم، وإن كان قد ظهر قبل ذلك في كتابه تحت راية القرآن، حيث دافع فيه عن القرآن لكريم وعن اللغة العربية، إلا أنه في كتاب وحي القلم شمل قضايا متنوعة تبعا لتعدد مواضيع الكتاب وتشعبها.
- قلنا بأن البعد الإصلاحي يظهر من خلال كتاباته ذات الطابع الديني، ولهذا فمن الطبيعي أن لا نجد أثرا لهذا البعد الإصلاحي في كتاباته الوجدانية التي عبر فيها عن شعوره وإحساسه في فترة من حياته.

- أدت الكتابات الإصلاحية عند الرافعي دورا مهما في عصره وكان لها الأثر الحسن في وقت عرف بكثرة الاختلال وانتشار واسع للمظاهر الدخيلة عن مجتمعنا الإسلامي.
- للبعد الإصلاحي أثر في جمالية أسلوب الرافعي، تجلى من خلال كتابه وحي القلم، حيث تبسط الرافعي في أسلوبه، فظهر كتاب وحي القلم مختلف عن كتبه الأخرى.
- للبعد الإصلاحي أيضا أثر جمالي تمثل في أفكار الرافعي، حيث جاءت تنشد السمو وتدعوا إلى الارتقاء وهذا ما نلحظه في أغلب كتابات الرافعي .
- من أثر البعد الإصلاحي التخفيف من المجاز في لغة الرافعي، حيث عرف الرافعي بالتوسع في المجاز، ولكنه تبسط من بعدُ وخفف من المجاز، ولكن لا يمكن أبدا الاستغناء عليه فهو علامة تمييز للكتابة الأدبية عن غيرها من الكتابات.
- ظهرت عاطفة الرافعي صادقة وقوية وهذا شرط أساس ليس للمصلح فقط وإنما للأدب ككل.
- للرافعي موقف واضح من دعاة العامية، وقد كان لهذا أثر في تميز لغة الرافعي واجتهاده في اختيار الأفصح
- الرافعي يكثر من الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا زاد أدبه رونقا وجمالا ورفعة.

وفي الختام أقول ما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله الكريم المنان التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر و المراجع

. القرآن الكريم

1- المصادر:

مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،د س.

2- المراجع :

1. أحمد أمين، النقد الأدبي،ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، سنة1952.
2. أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة- فصل في الأدب والنقد والاجتماع، ط7، مج1، مطبعة الرسالة، مصر،1962.
3. أحمد الشايب، الأسلوب –دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب –ط8،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1991.
4. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
5. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج4،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، سنة1997.
6. أحمد محمود مبارك، رؤية إسلامية في الأدب والثقافة،دط، دار الوفاء، الإسكندرية، 1999.
7. أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ط1، مكتبة لبنان، بيروت،2001.
8. أنور الجندي، من أعلام الفكر والأدب، دط، الدار القومية للطباعة والنشر،
9. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي ،دط، دار الحديث، سنة2006.

10. تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة،ط2، دار توبقال، المغرب.

11. جمال الدين الرمادي، من أعلام الأدب المعاصر،د ط، دار الفكر العربي،دس

12. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة،ط3، الدار العربية للكتاب، تونس،2008.

13. حافظ إبراهيم، الديوان، ج1، ط3، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1948.

14. الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج1، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي،مطبعة دار إحياء الكتب العربية،دس.

15. حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث – في الربع الأول من القرن العشرين– دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1982.

16. أبو الحسن علي الحسني البدوي، نظرات في الأدب، ط2، دار البشير، عمان، 1990

17. خير الدين الزركلي، الأعلام،دط، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، دس.

18. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1982

– شوقي ضيف:

19. الأدب العربي المعاصر في مصر،ط10،دار المعارف.

20. النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط1976،3

21. تاريخ الأدب العربي– العصر الإسلامي– ج2، ط7، دار المعارف، مصر، 1976.

22. صدر الدين شرف الدين، المختار في أدب الرافعي، ، دار الكاتب الغربي.

23. ضيف الله م.ح.م، نثر مصطفى صادق الرافعي،ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، سنة 1968.

24. طه حسين، حديث الأربعاء، ج3، ط12، دار المعارف، دس.

25. عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم، مطبعة حجازي، القاهرة، سنة1937

26. عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، دط، المكتبة العصرية، بيروت.

27. عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس – في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير–،علق عليه وأخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين،ط2،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، سنة 2002.

28. أبو العباس أحمد علي القلقشندي، صبح الأعشى ،ج 2، المطبعة الأميرية، القاهرة ، 1913.

29. عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دط، دار الجيل، بيروت.

30. أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج 2، ط7، مطبعة المدني، سنة 1998.

31. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.

32. عدنان محمد زرزور، سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد

33. علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب،جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية، ط1،دار المنارة،2007.

34. عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ،ج2، دار الفكر، دس.

35. عبد الستار السطوحي، الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإسلامي الرافعي، دار الإعتصام، القاهرة،1986.

36. كمال نشأت، مصطفى صادق الرافعي، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر،دس.

37. لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، سنة 2014.

38. مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط2،مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

39. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري،ج6، دط، مطبعة اليمامة، دار بن كثير ،دس.

40. محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج،ج2، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996.

41. محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، مراجعة أحمد محمد شاكر وآخرون ، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دس.

42. محمد بن ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط3، المكتب الإسلامي،1988.

43. محمد رجب البيومي، الرافعي فارس تحت راية القرآن، ط1، دار القلم، دمشق،1997.

44. محمد سعيد العريان، حياة الرافعي،ط3، سنة 1955.

45. محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه واعتنى به فواز أحمد زمرلي، ج2، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1995.

46. محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه،ج2، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992.

47. محمد عمارة، الإصلاح بالإسلام- معالم المشروع الحضاري للإمام محمد عبده، إشراف عام داليا محمد إبراهيم ،ط1، نهضة مصر، سنة2006.

48. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، سنة1997.

49. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج2، ط2، مكتبة الآداب19680.

50. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط1، المركز الثقافي العربي،سنة1985.

51. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت

52. مصطفى الجوزو، الرافعي.

53. مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، ط3، الدار المصرية اللبنانية، سنة 1999.

54. مصطفى صادق الرافعي، الديوان،شرحه محمد كامل الرافعي، ج1، دط، مطبعة جامعة الإسكندرية،1322.

- مصطفى نعمان البدري:

55. الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، د ط، دار الجيل، بيروت.

56. الإمام الرافعي، د ط، مطبعة دار البصري، بغداد، 1928.

57. نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي بين التحرر والجمود، دائرة الشؤون الثقافية والنشر،العراق، بغداد،1984

58. نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، دط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978.

59. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر- من أوائل القرن التاسع عشر إل قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، دس.

3-الرسائل الجامعية:

60. محمود شاكر خيون، الجمال في أدب الرافعي،رسالة ماجستير، إشراف جبير صالح حمادي القرغولي، كلية الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، 2012.

61. نجاة محمد عبد الماجد العباسي، الجانب الديني في أدب الرافعي، رسالة ماجستير، إشراف محمد نبيه حجاب، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية،1986.

4- المجلات و الدوريات:

62. عبد السلام أقلمون، شعرية الإصلاح في أدب الرافعي، مجلة حراء. اسطنبول، العدد7،سنة2007.

63. علي عبد الواحد وافي، مجلة الرسالة، ص325، العدد 347، السنة الثامنة،1359هـ /26 فبراير 1946.

5- المواقع الالكترونية:

64. خليل شتوح، الأديب الرافعي والميراث الخالد، موقع نسيم الشام، السعودية، http://naseemalsham.com/ar/Pages.php?page=readviestor&pg_id=31608 &page1=8.

65. عبد الحليم عويس، أسلوب الرافعي الأدبي في تناول التاريخ الإسلامي، موقع http://www.aljamaa.net/ar/document/4948.shtml، تاريخ النشر الخميس18يناير/كانون الثاني2007.

الفهرس

مقدمة.....أ-د
مدخل تمهيدي.....5-25
أولا: ترجمة الرافعي.....05
1- مصطفى صادق الرافعي أصوله ونسبه.....05
2- مولده ونشأته..... 06
3أســرته.....07
4- البنية الثقافية 08
5- وفاته.....10
6- آثاره الأدبية.....11
ثانيا: كتاب "وحي القلم..... 14
ثالثا: البعد الإصلاحي.....17
1- مفهوم الإصلاح.....17
2- البعد الإصلاحي عند الرافعي.....19
رابعا: الأثر الجمالي للبعد الإصلاحي.....23
الفصل الأول: تجليات البعد الإصلاحي عند الرافعي من خلال المدونة(وحي القلم)..26-65
المبحث الأول: البعد الإصلاحي في المجال الديني 26
المطلب الأول: الدفاع عن إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية 26
أولا: الدفاع عن إعجاز القرآن الكريم.....26
ثانيا: الدفاع عن البلاغة النبوية.....30
المطلب الثاني: الدفاع عن شعائر الدين الإسلامي وعلماء الإسلام.....33
أولا: الدفاع عن شعائر الدين الإسلامي.....38

ثانيا: الدفاع عن علماء الإسلام.....38
المطلب الثالث: الدفاع عن اللغة العربية 40
المبحث الثاني: البعد الإصلاحي في المجال الاجتماعي.....44
المطلب الأول: قضايا المرأة 45
أولا: حجاب المرأة المسلمة.....47
ثانيا: المرأة والعلم.....49
ثالثا: المرأة ودعوات التحرر.....50
المطلب الثاني: قضايا الزواج 50
أولا: ميراث المرأة وعلاقته بالزواج.....50
ثانيا: قضية الزواج بالأجنبيات.....51
المطلب الثالث : قضية الفقر ومشكلاته الاجتماعية 52
المبحث الثالث: البعد الإصلاحي في المجال السياسي:.....57
المطلب الأول: القضايا المصرية الداخلية 57
المطلب الثاني: قضية فلسطين والنصرة العربية الإسلامية 60
المطلب الثالث: مقاومة الاحتلال ورفض الهيمنة 63
الفصل الثاني: الأثر الجمالي للبعد الإصلاحي في أدب الرافعي من خلال "وحي القلم".....66-95
المبحث الأول: جماليات الأسلوب والأفكار في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي ..66
المطلب الأول: جماليات الأسلوب في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي 66
المطلب الثاني: جماليات الأفكار في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي 71

المبحث الثاني: بناء الصورة في الخطاب الإصلاحي عند الرافعي 76

المطلب الأول: الخيال عند الرافعي في خطاباته الإصلاحية 77

أولا: التوليد.....78

ثانيا: التشخيص 78

ثالثا: المجاز.....79

المطلب الثاني: العاطفة عند الرافعي في خطاباته الإصلاحية 81

أولا: صدق العاطفة واعتدالها.....83

ثانيا: تنوع العاطفة.....85

ثالثا: قوة العاطفة و حيويتها.....85

رابعا: ثبات العاطفة و استمرارها.....86

المبحث الثالث: جماليات لغة الرافعي في خطاباته الإصلاحية. 87

المطلب الأول: الاقتباس من القرآن الكريم والسنة 88

المطلب الثاني: الإصلاح اللغوي وأثره الجمالي في لغة الرافعي.....92

خاتمة 96-97

تم بحمد الله

ملخص الدراسة:

موضوع البحث موسوم بعنوان: البعد الإصلاحي وأثره الجمالي في أدب الرافعي، جعلت من كتاب وحي القلم - أنموذجا -لاحتوائه على قضايا إصلاحية متنوعة، وقد ضم البحث بين تضاعيفه مدخل تمهيدي وفصلان تطبيقيان وخاتمة لأهم النتائج المستخلصة من الدراسة.

خصص التمهيد لتسليط الضوء على العناصر الواردة في عنوان البحث.

أما الفصل الأول فقد عني بدراسة مظاهر البعد الإصلاحي في أدب الرافعي من خلال كتاب وحي القلم ، وتم تقسيم الدراسة فيه إلى ثلاث مباحث:

خصص المبحث الأول للحديث عن مظاهر البعد الإصلاحي في المجال الديني

وكان في المبحث الثاني رصد لأهم قضايا الإصلاح الاجتماعي التي تناولها الرافعي في كتابه، أما بالنسبة للمبحث الثالث فقد تم الوقوف عند قضايا الإصلاح في المجال السياسي في كتابات الرافعي.

وفي الفصل الثاني جرى الحديث عن جمالية الخطاب الإصلاحي عند الرافعي لتبيان أثر البعد الإصلاحي في أدبه، وتم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث ضم كل مبحث منهما مطلبين،تم من خلال هاته المباحث دراسة أهم العناصر الأدبية المتمثلة في الحديث عن أسلوب الرافعي و أفكاره وكذا لغتة وبناء الصورة عنده.

أما الخاتمة فكانت رصد لأهم النتائج المستخلصة من الدراسة.

Abstract:

Research topic entitled the reformist dimension and the aesthetic impact in Rafii literature which was taken from WAHI EL KALAAM book – as a sample- that contains a variety of reform issues. This research contains Preliminary entrance, two practical chapters and a conclusion to the most important findings from the study.

the first part devoted to highlight the elements contained in the research's title.

The first chapter has studied the aspects of the reformist dimension in Rafii literature through wahi el kalaam book, ,and we devided this chapter into three sections.

The first section devoted to talk about aspects of the reformist dimension in the religious sphere. the second one deals with the monitoring of the most important social reform issues addressed by Rafii in his book whereas the third section has been standing at the reform issues in the political sphere in Rafii's writings.

The second chapter, we talk about Aesthetic of rafii to illustrate Discourse's the impact of the reformist dimension in his literature. and we devided this chapter into three sections which include each of them two demands through them we highlight the most important literary elements: el drafii style, his thoughts , his language as well as the picture building for him.

The conclusion was the monitoring of the most important findings from the study